ومن العرب جمع كثير، فلمّا كان فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة سار الاسطول الفرنجىّ فى ثلاثماية قطعة فيها الف فرس وفرس واحد الّا انّهم لمّا ساروا من مرسى علىّ فرّقتهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحها وقتل من بها وسبا وغنموا * وساروا منها [1] فوصلوا الى افريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس اواخر جمادى الاولى فقاتلهم طايفة من العرب كانوا هناك والديماس حصنٌ منيعٌ فى وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر وسيّر الحسن من عنده من الجوع الى الفرنج واقام هو بالمهديّة فى جمع آخر يحفظها واخذ الفرنج حصن الديماس وجنود المسلمين محيطة بهم فلمّا كان بعد ليال اشتدّ القتال على الحصن الداخل فلمّا كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجّت لها الارض وكبّروا فوقع الرعب فى قلوب الفرنج فلم يشكّوا انّ المسلمين يهجمون عليهم فبادروا الى شوانيهم وقتلوا بايديهم كثيرًا من خيولهم وغنم المسلمون منها اربعماية فرس ولم يسلم معهم غير فرس واحد وغنم المسلمون جميع ما تخلّف عن الفرنج وقتلوا كلّ من عجز عن الطلوع الى المراكب فلمّا صعد الفرنج الى مراكبهم اقاموا بها ثمانية ايّام لا يقدرون على النزول الى الارض فلمّا ايسوا من خلاص اصحابهم الذين فى الديماس ساروا والمسلمون يكبّرون عليهم ويصيحون بهم واقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس فى امم لا يُحصون كثرةً فحصروه فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوّته فلمّا عُدم الماء على من به من الفرنج وضجروا من مواصلة القتال ليلًا ونهارًا فتحوا باب الحصن وخرجوا فقُتلوا عن آخرهم وذلك يوم الاربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة وكانت مدّة اقامتهم فى الحصن ستّة عشر يومًا ولمّا رجع الفرنج مقهورين ارسل الامير الحسن البُشرى الى سايـر البلاد وقال الشعرآء فى هذه الحادثة فاكثروا تركنا ذلك خوف التطويل ✿

[1]) *Amari*, Bibl. p. ٢٨٣.

Digitized by Google

ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت واخذها منهم

فى هذه السنة فى ربيع الاول استولى الفرنج على خرتبرت من بلاد ديار بكر سبب ذلك انّ بلك بن بهرام بن ارتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهى تقارب خرتبرت فسمع الفرنج بالشام الخبر فسار بغدوين ملك الفرنج فى جموعه اليه ليرحله عنها خوفًا ان يقوى بملكها فلمّا سمع بلك بقربه منه رحل اليه والتقيا فى صفر واقتتلا فانهزم الفرنج وأُسر ملكهم ومعه جماعة من اعيان فرسانهم وسجنهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة ايضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدّمى الفرنج كان قد اسرهم سنة خمس عشرة وسار بلك عن خرتبرت الى حرّان فى ربيع الاوّل فملكها، فاعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة، فامّا الملك بغدوين فانّه اتّخذ الليل جملًا ومضا الى بلاده واتّصل الخبر ببلك صاحبها فعاد فى عساكره اليها وحصرها وضيّق على من بالقلعة واستعادها من الفرنج وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها ۞

ذكر قتل وزير السلطان وعَوْد ابن صدقة الى وزارة الخليفة

فى هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان ابن نظام الملك وقتله وسبب ذلك انّه لمّا اشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة فى مخالفته تغيّر عليه وذكره اعداؤه اسوء وتنبّهوا على تهوّره وقلّة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة ففسد رأى السلطان فيه، ثم انّ الشهاب ابا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفّى وهو ابن اخى نظام الملك ووزر بعده ابو طاهر القمّىّ وهو عدوّ للبيت النظامىّ فسعى مع السلطان سنجر حتّى ارسل الى السلطان محمود يامره بالقبض على وزيره شمس الملك فصادف وصول الرسول وهو متغيّر عليه فقبض عليه وسلّمه الى طغايرك فبعثه الى بلده خلخال فحبسه فيها، ثم انّ ابا نصر المستوفى الملقّب بالعزيز قال للسلطان محمود لا نامن ان يرسل السلطان سنجر يطلب

Digitized by Google

الوزير ومتى اتّصل به لا نامن شرًّا يحدث منه، وكان بينهما عداوة فامر السلطان بقتله فلمّا دخل عليه السيّاف ليقتله قال امهلنى حتّى اصلّى ركعتَيْن ففعل فلمّا صلّى جعل يرتعد وقال للسيّاف سيفى اجْود من سيفك فاقتلنى به ولا تعذّبنى فقُتل ثانى جمادى الآخرة، فلمّا سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل اخاه نظام الدين احمد من وزارته واعاد جلال الدين ابا علىّ بن صدقة الى الوزارة واقام نظام الدين بالمثمّنة لثة فى المدرسة النظاميّة ببغداذ، وامّا العزيز المستوفى فانه لم تطُلْ ايّامه حتّى قُتل على ما نذكره جزآء لسَعْيه فى قتل الوزير ☆

ذكر ظفر السلطان محمود بالكُرْج

فى هذه السنة اشتدّت نكاية الكرج فى بلد الاسلام وعظم الامر على الناس لا سيّما اهل دربند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من اعيانهم الى السلطان وشكوا اليه ما يلقون منهم واعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار اليهم والكرج قد وصلوا الى شماخى فنزل السلطان فى بستان هناك وتقدّم الكرج اليه فخافهم العسكر خوفًا شديدًا واشار الوزير شمس الملك عثمان ابن نظام الملك على السلطان بالعود [من] هناك فلمّا سمع اهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له نحن نقاتل مهما انت عندنا وان تاخّرتَ عنّا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا، فقبل قولهم واقام بمكانه وبات العسكر على وجل عظيم وهم بنيّة المصاف فاتاهم الله بفرج من عنده والقى بين الكرج وقفجاق اختلافًا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المومنين القتال واقام السلطان بشروان مدّةً ثم عاد الى هذان فوصلها فى جمادى الاخرة ☆

ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر

فى هذه السنة وصل جمع كثير من لواتة من الغرب الى ديار مصر

Digitized by Google

فاسدوا فيها ونهبوها وعملوا اعمالًا شنيعة فجمع المامون بن البطائحيّ الذى وزر بمصر بعد الافضل عسكر مصر وسار اليهم فقاتلهم فهزمهم واسر منهم وقتل خلقًا كثيرًا وقرّر عليهم خرجًا معلومًا كلّ سنة يقومون به وعادوا الى بلادهم وعاد المامون الى مصر مظفّرًا منصورًا ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى صفر امر المسترشد بالله ببنآء سور بغداد وان يجبى ما يخرج عليه من البلد فشقّ ذلك على الناس وجُمع من ذلك مال كثير فلمّا علم الخليفة كراهة الناس لذلك امر باعادة ما أُخذ منهم فسرّوا بذلك وكثر الدعآء له وقيل انّ الوزير احمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر الف دينار وقال نقسّط الباقى على ارباب الدولة وكان اهل بغداذ يعملون بانفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل يعمل اهل كلّ محلّة منفردين بالطبول والزُمور وزيّنوا البلد وعملوا فيه القباب، وفيها عُزل نقيب العلويّين وخُدمت دار علىّ بن افلح وكان الخليفة يكرمه فظهر انّهما عين لدُبَيْس يطالعانه بالاخبار وجعل الخليفة نقابة العلويّين الى علىّ بن طِراد نقيب العبّاسيّين، وفيها جمع الامير بلك عساكره وسار الى غزاة بالشام فلقيه الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقُتل منهم وأُسر بشر كثير من مقدّميهم ورجالتهم، وفيها كان فى اكثر البلاد غلآء شديد وكان اكثره بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الخشكار ستّة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك موت كثير وامراض زايدة هلك فيها كثير من الناس، وفيها فى صفر توفّى قاسم بن ابى هاشم العلوىّ الحسنىّ امير مكّة وولى بعده ابنه ابو فُلَيْتة وكان اعدل منه واحسن السيرة فاسقط المكوس واحسن الى الناس، وفيها توفّى عبد الله بن الحسن بن احمد ابن الحسن ابو نعيم بن ابى علىّ الحدّاد الاصبهانىّ ومولده سنة ثلاث وستّين واربعماية وهو من اعيان المحدّثين سافر الكثير فى طلب الحديث، وفيها سار طغتكين صاحب دمشق الى حمص فهجم المدينة ونهبها

Digitized by Google

واحرق كثيرًا منها وحصرها وصاحبها قرجان[1] بالقلعة فاستمدّ صاحبها طغان ارسلان فسار اليه فى جمع كثير فعاد طغتكين الى دمشق، وفيها لقى اسطول مصر اسطول البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة واخذ من اسطول مصر عدّة قطع وعاد الباقى سالمًا، وفيها سار الامير محمود بن قراجة صاحب حماة الى حصن افامية فهجم على الربض بغتةً فاصابه سهم من القلعة فى يده فاشتدّ المُهُ فعاد الى حماة وقلع النزجّ من يده ثم عملتْ عليه فمات منه واستراح اهل عمله من ظلمه وجوره فلمّا سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سيّر الى حماة عسكرًا فملكها وصارت فى جملة بلاده ورتّب فيها واليًا وعسكرًا لحمايتها ۞

سنة ٥١٨ **ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة**

ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاس حلب

فى هذه السنة فى صفر قبض بلك بن بهرام بن ارتق صاحب حلب على الامير حسّان البعلبكّى صاحب منبج وسار اليها فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة فامتنعت عليه فسار الفرنج اليه ليرحلوه عنها ليُخلّا يقوى باخذها فلمّا قاربوه ترك على القلعة من يحصرها وسار فى باقى عسكره الى الفرنج فلقيهم وقاتلهم فكسرهم وقتل منهم خلقًا كثيرًا وعاد الى منبج فحصرها فبينما هو يقاتل من بها اتاه سهم فقتله لا يدرى من رماه واضطرب عسكره وتفرّقوا وخلص حسّان من الحبس، فكان حُسام الدين تمرتاس بن ايلغازى بن ارتق مع ابن عمّه بلك فحمله مقتولًا الى ظاهر حلب وتسلّمها فى العشرين من ربيع الاوّل من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج وعاد اليها صاحبها حسّان واستقرّ تمرتاش بحلب واستولى عليها ثم انّه جعل فيها نايبًا له يثق اليه ورتّب عنده ما يحتاج اليه من جند وغيرهم

---

[1]) Codd. حمرخان.

Digitized by Google

وعاد الى ماردين لانّه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج وكان رجلًا يحبّ الدعة والرفاهة فلمّا عاد الى ماردين أُخذت حلب منه على ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام

كانت مدينة صور للخلفآء العلويّين بمصر ولم تزل كذلك الى سنة ستّ وخمسماية فكان بها والٍ من جهة الافضل امير الجيوش وزير الآمر باحكام الله العلوىّ يلقّب عزّ الملك وكان الفرنج قد حصروها وضيّقوا عليها ونهبوا بلدها غير مرّة فلمّا كان سنة ستّ تجهّز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير الى صور فخافهم اهل صور فارسلوا الى اتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون منه ان يرسل اليهم اميرًا من عنده يتولّاهم وجميعهم ويكون البلد له وقالوا له ان ارسلتَ الينا واليًا وعسكرًا والّا سلّمنا البلد الى الفرنج، فسيّر اليهم عسكرًا وجعل عندهم واليًا اسمه مسعود وكان شهمًا شجاعًا عارفًا بالحرب ومكايدها وامدّه بعسكر وسيّر اليهم ميرة وملّا فرّقه فيهم وطابت نفوس اهل البلد ولم تغيّر الخطبة للآمر صاحب مصر ولا السكّة وكتب الى الافضل بمصر يعرّفه صورة الحال ويقول متى وصل اليها من مصر من يتولّاها ويذبّ عنها سلّمتُها اليه ويطلب انّ الاسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوّة، فشكره الافضل على ذلك واثنى عليه وصوّب رآيه فيما فعله وجهّز اسطولًا وسيّره الى صور فاستقام احوال اهلها، ولم يزل كذلك الى سنة ستّ عشرة بعد قَتْل الافضل فسُيّر اليها اسطول الى صور على جارى العادة وامروا المقدّم على الاسطول ان يعمل الحيلة على الامير مسعود الوالى بصور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلّم البلد منه، وكان السبب فى ذلك انّ اهل صور اكثروا الشكوى منه الى الآمر باحكام الله صاحب مصر بما يعتمده من مخالفتهم والاضرار بهم ففعلوا ذلك وسار الاسطول فارسا عند صور فخرج مسعود اليه للسلام على المقدّم عليه فلمّا

Digitized by Google

صعد الى المركب الذى فيه المقدّم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الاسطول الى مصر وفيه الامير مسعود فأُكرم وأُحسن اليه وأُعيد الى دمشق، وامّا الوالى من قبل المصريّين فانّه طيّب قلوب الناس وراسل طغتكين يخدمه بالدعآء والاعتضاد وانّ سبب ما فعل هو شكوى اهل صور من مسعود فاحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه المساعدة، ولمّا سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها وحدّثوا نفوسهم بملكها وشرعوا فى الجمع والتاهّب للنزول عليها وحَصْرها فسمع الوالى بها للمصريّين الخبر فعلم انّه لا قوّة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها لقلّة من بها من الجند والميرة فارسل الى الآمر بذلك فراى ان يردّ ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق فارسل اليه بذلك فملك صور ورتّب بها من الجند وغيرهم ما ظنّ فيه كفاية، وسار الفرنج اليهم ونازلوهم فى ربيع الاوّل من هذه السنة وضيّقوا عليهم ولازموا القتال فقلّت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذبّ عن البلد ولعلّ الفرنج اذا رأوا قربه منهم رحلوا فلم يتحرّكوا ولزموا الحصار فارسل طغتكين الى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه وتمادت الايّام واشرف اهلها على الهلاك فراسل حينيذ طغتكين صاحب دمشق وقرّر الامر على ان يسلّم المدينة اليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعيّة من الخروج منها بما يقدرون عليه من اموالهم ورحالهم وغيرها فاستقرّت القاعدة على ذلك وفتحت ابواب البلد وملكه الفرنج وفارقه اهلهُ وتفرّقوا فى البلاد وحملوا ما اطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج الى احد منهم ولم يبق الّا الضعيف عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد فى الثالث والعشرين من جمادى الاولى من السنة وكان فتحه وهنًا عظيمًا على المسلمين فانّه من احصن البلاد وامنعها فالله يعيده الى الاسلام ويقرّ اعين المسلمين بفتحه بمحمّد وآله ۞

ذكر عزل البُرسقيّ عن شحنكيّة العراق وولاية يرنقش الزكويّ

فى هذه السنة عُزل البرسقيّ عن شحنكيّة العراق ووليها سعد الدولة يرنقش الزكويّ، وسبب ذلك انّ البرسقيّ نفر عنه المسترشد بالله فارسل الى السلطان محمود يلتمس منه ان يعزل البرسقيّ عن العراق ويعيده الى الموصل فاجابه السلطان الى ذلك وارسل الى البرسقيّ يامره بالعود الى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلمّا علم البرسقيّ الخبر شرع فى جباية الاموال ووصل نايب يرنقش فسلّم اليه البرسقيّ الامر وارسل السلطان ولدًا له صغيرًا مع امّه الى البرسقيّ ليكون عنده فلمّا وصل الصغير الى العراق خرجت العساكر والمواكب الى لقآيه وحُملت له الاقامات وكان يوم دخوله يومًا مشهودًا وتسلّمه البرسقيّ وسار الى الموصل وهو ووالدته معه، ولمّا سار البرسقيّ الى الموصل كان عماد الدين زنكى بن آقسنقر بالبصرة قد سيّره البرسقيّ اليها ليحميها فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم فى حللهم حتّى ابعدوا الى البرّ فارسل اليه البرسقيّ يامره باللحاق به فقال لاصحابه قد ضجرنا ممّا نحن فيه كلّ يوم للموصل امير جديد ونريد نخدمه وقد رايتُ ان اسير الى السلطان فاكون معه فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فقدم عليه باصبهان فاكرمه واقطعه البصرة واعاده اليها ۞

ذكر ملك البُرسقيّ مدينة حلب

فى هذه السنة فى ذى الحجّة ملك آقسنقر البرسقيّ مدينة حلب وقلعتها، وسبب ذلك انّ الفرنج لمّا ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقّنوا الاستيلآء على بلاد الشام واستكثروا من الجموع ثمّ وصل اليهم دُبَيْس بن صدقة صاحب الحلّة فاطمعهم طمعًا ثانيًا لا سيّما فى حلب وقال لهم انّ اهلها شيعة وهم يميلون الىّ لاجل المذهب فمتى رأونى سلّموا البلد الىّ، وبذل لهم على مساعدته بذولًا كثيرة وقال انّى اكون هاهنا نايبًا عنكم

ومطيعًا لكم، فساروا معه اليها وحصروها وقاتلوا قتالًا شديدًا ووطّنوا نفوسهم على المقام الطويل وانّهم لا يفارقونها حتّى يملكوها وبنوا البيوت لاجل البرد والحرّ، فلمّا رأى اهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز وقلّت الاقوات عندهم فلمّا رأوا ما دُفعوا اليه من هذه الاسباب اعملوا الرأى فى طريق يتخلّصون به فرأوا انّه ليس لهم غير البرسقىّ صاحب الموصل فارسل اليه يستنجدونه ويسألونه المجىء اليهم ليسلّموا البلد اليه، فجمع عساكره وقصدهم وارسل الى من بالبلد وهو فى الطريق يقول انّنى لا اقدر على الوصول اليكم والفرنج يقاتلونكم الّا اذا سلّمتم القلعة الى نوّابى وصار اصحابى فيها فانّنى لا ادرى ما يقدّره الله تعالى اذا انا لقيتُ الفرنج فان انهزمنا منهم وليست حلب بيد اصحابى حتّى احتمى انا وعسكرى بها لم يبق منّا احد وحينيذ توخذ حلب وغيرها، فاجابوه الى ذلك وسلّموا القلعة الى نوّابه فلمّا استقرّوا فيها واستولوا عليها سار فى العساكر التى معه فلمّا اشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يراهم فاراد من فى مقدّمة عسكره ان يحمل عليهم فمنعهم هو بنفسه وقال قد كُفينا شرّهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تَرْكهم حتّى يتقرّر امر حلب ونصلح حالها ونكثر ذخايرها ثم حينيذ نقصدهم ونقاتلهم، فلمّا رحل الفرنج خرج اهل حلب ولقوه وفرحوا به واقام عندهم حتّى اصلح الامور وقرّرها ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة انقطعت الامطار فى العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من البلاد فقلّت الاقوات وغلت الاسعار فى جميع البلاد ودام الى سنة تسع عشرة، وفيها وصل منصور بن صدقة اخو دُبَيْس الى بغداد تحت الاستظهار فمرض بها فاحضر الخليفة الاطبّاء وامرهم بمعالجته واحضره عنده وجُعل فى حجرة وادخل اصحابه اليه، وفيها سار دبيس من الشام بعد رحيله عن حلب

وقصد الملك طغرل فاغراه بالخليفة واطمعه فى العراق وكان ما نذكره سنة تسع عشرة ان شآء الله تعالى، وفيها مات الحسن بن الصبّاح مقدّم الاسماعيليّة صاحب ألموت وقد تقدّم من اخباره ما يعلم به محلّه من الشجاعة والرآى والتجربة، وفيها ايضًا توفّى داود ملك الابخاز، وشمس الدولة بن نجم الدين ايلغازى، وفيها ثار اهل آمد بمن فيها من الاسماعيليّة وكانوا قد كثروا فقتلوا منهم نحو سبعماية رجل فضعف امرهم بها بعد هذه الوقعة، وفيها فى صفر توفّى محمّد بن مرزوق بن عبد الرزّاق الزعفرانىّ وهو من اصحاب الخطيب البغدادىّ، وفيها توفّى احمد بن علىّ بن برهان ابو الفتح الفقيه المعروف بابن الحمّامىّ لانّ اباه كان حمّاميًّا وكان حنبليًّا تفقّه على ابن عقيل ثم صار شافعيًّا وتفقّه على الغزالىّ والشاشىّ ❁

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسماية، سنة ١٩ه

ذكر وصول الملك طغرل ودُبَيْس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة الى الملك طغرل من الشام فلمّا وصل اليه لقيه واكرمه واحسن اليه وجعله من اعيان خواصّه وامرآيه فحسّن اليه دبيس قَصْد العراق وهوّن امره عليه وضمن له انّه يملكه فسار معه الى العراق فوصلوا دقوقا فى عساكر كثيرة، فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة خبرها فتجهّز للمسير ومَنْعهما وامر يرنقش الزكوىّ شحنة العراق ان يكون مستعدًّا للحرب وجمع العساكر والامرآء البكجيّة وغيرهم فبلغت عدّة العساكر اثنى عشر الفًا سوى الرجّالة واهل بغداد وفرّق السلاح وبرز خامس صفر وبين يدَيْه ارباب الدولة رجّالة وخرج من باب النصر وكان قد امر بفتحه تلك الايّام وسمّاه باب النصر ونزل صحرآء الشماسيّة ونزل يرنقش عند السبتى ثم سار فنزل الخالص تاسع صفر، فلمّا سمع طغرل بخروج الخليفة عدل الى طريق خراسان وتفرّق اصحابه فى النهب والفساد ونزل وهو رباط جلولا فسار اليه الوزير جلال الدين

Digitized by Google

ابن صدقة في عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجّه طغرل ودبيس الى الهارونيّة وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقرّ الامر بين دبيس وطغرل ان يسيرا حتّى يعبرا ديالى وتامرّا ويقطعا جسر النهروان ويقيم دبيس ليحفظ المعابر ويتقدّم طغرل الى بغداذ فيملكها وينهبها فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرّا ونزل طغرل بينه وبين ديالى وسار دبيس على ان يلحقه طغرل، فقدّر الله تعالى انّ الملك طغرل لحقه حمّى شديدة ونزل عليهم من المطر ما لم يشاهدوا مثله وزادت المياه وجآت السيول والخليفة بالدسكرة وسار دبيس في مايتَيْ فارس وقصد معبّرة النهروان وهو تعبان سهران وقد لقي هو واصحابه من المطر والبلل ما اذاهم وليس معهم ما ياكلون ظنًّا منهم ان طغرل واصحابهم يلحقونهم فتاخّروا لما ذكرناه فنزلوا جياعًا قد نالهم البرد واذا قد طلع عليهم ثلاثون جملا تحمل الثياب المخيّطة والعمايم والاقبية والقلانس وغيرها من الملبوس وتحمل ايضًا انواع الاطعمة المصنوعة قد حُملت من بغداذ الى الخليفة فاخذ دبيس الجميع فلبسوا الثياب الجُدد ونزعوا الثياب النديّة واكلوا الطعام وناموا في الشمس ممّا نالهم تلك الليلة، وبلغ الخبر اهل بغداذ فلبسوا السلاح وبقوا يحرسون الليل والنهار ووصل الخبر الى الخليفة والعسكر الذين معه انّ دبيسًا قد ملك بغداذ فرحل من الدسكرة ووقعت الهزيمة على العسكر الى النهروان وتركوا اثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت اليها احد ولولا ان الله تعالى لطف بهم بحمّى الملك طغرل وتاخّره والّا كان قد هلك العسكر والخليفة ايضًا وأُخذوا وكان السواقي مملوّة بالوحل والمآء من السيل فتمزّقوا ولو لحقهم ماية فارس لهلكوا ووصلت رايات الخليفة ودبيس واصحابه نيام وتقدّم الخليفة واشرف على ديالى ودبيس نازل غرب النهروان والجسر ممدود شرق النهروان فلمّا ابصر دبيس شمسة الخليفة قبّل الارض بين يدَيْ الخليفة وقال انا العبد المطرود فليعفُ امير المومنين عن عبده، فرقّ الخليفة له وهمّ بصلاحه

حتّى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه وركب دبيس ووقف بازآء عسكر يرنقش الزكويّ يحادثهم ويتماجن معهم ثمّ امر الوزير الرجّالة فعبروا ليمدّوا الجسر آخر النهار فسار حينيذ دبيس عايدًا الى الملك طغرل وسيّر الخليفة عسكرًا مع الوزير فى اثره وعاد الى بغداذ فدخلها وكانت غيبته خمسة وعشرين يومًا، ثمّ انّ الملك طغرل ودبيسًا عادا وسارا الى السلطان سنجر فاجتازا بهمذان فقسّطا على اهلها مالًا كثيرًا واخذوه وغابوا فى تلك الاعمال فبلغ خبرهم السلطان محمودًا فجدّ السير اليهم فانهزموا من بين يدَيْه وتبعتهم العساكر فدخلوا خراسان الى السلطان سنجر وشكيا اليه من الخليفة ويرنقش الزكويّ ۞

ذكر فتح البُرسقىّ كفرطاب وانهزامه من الفرنج

فى هذه السنة جمع البرسقىّ عساكره وسار الى الشام وقصد كفرطاب وحصرها فملكها من الفرنج وسار الى قلعة عزاز وهى من اعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها جوسلين فحصرها فاجتمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فلقيهم وضرب معهم مصافًّا واقتتلوا قتالًا شديدًا صبروا كلّهم فيه فانهزم المسلمون وقُتل منهم وأُسر كثير وكان عدد القتلى اكثر من الف قتيل من المسلمين وعاد منهزمًا الى حلب فخلّف بها ابنَهُ مسعودًا وعبر الفرات الى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال وكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر قتل المامون بن البطايحىّ

فى هذه السنة فى رمضان قبض الآمر باحكام الله العلوىّ صاحب مصر على وزيره ابى عبد الله بن البطايحىّ الملقّب بالمامون وصلبه واخوته وكان ابتدآء امره انّ اباه كان من جواسيس الافضل بالعراق فمات ولم يخلّف شيئًا فتزوّجت امّه وتركته فقيرًا فاتّصل بانسان يتعلّم البنا بمصر ثمّ صار يحمل الامتعة بالسوق الكبير فدخل مع الحمّالين الى دار الافضل امير الجيوش مرّة بعد اخرى فرآه الافضل خفيفًا

Digitized by Google

رشيقًا حسن الحركة حلو الكلام فاعجبه فسأل عنه فقيل هو ابن فلان فاستخدمه مع الفرّاشين ثم تقدّم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتّى صار وزيرًا، وكان كريمًا واسع الصدر قتّالا سفّاكًا للدماء وكان شديد التحرّز كثير التطلّع الى احوال الناس من العامّة والخاصّة من ساير البلاد مصر والشام والعراق وكثر الغمّازون فى ايّامه، واما سبب قتله فانّه كان قد ارسل الامير جعفر اخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقرّرت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك ابو الحسن بن ابى أُسامة وكان خصيصًا بالآمر قريبًا منه وقد ناله من الوزير اذًى واطّراح فحضر عند الآمر واعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزآء من قابل الاحسان بالاساءة ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر وتعرف قديمًا بقلعة دوس، وفيها قُتل القاضى ابو سعد محمّد ابن نصر بن منصور الهروىّ بهمذان قتله الباطنيّة وكان قد مضا الى خراسان فى رسالة الخليفة الى السلطان سنجر فعاد فقُتل وكان ذا مروّة غزيرة وتقدّم كثير فى الدولة السلجوقيّة، فى هذه السنة توفّى هلال بن عبد الرحمان بن شريح بن عمر بن احمد وهو من ولد بلال بن رباح مؤذّن رسول الله صلعم وكنيته ابو سعد طاف البلاد وسمع وقرأ القران وكان موته بسمرقند ۞

سنة ٥٢٠ ## ثم دخلت سنة عشرين وخمسماية،

ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس

فى هذه السنة عظم شان ابن ردمير الفرنجىّ بالاندلس واستطال على المسلمين فخرج فى عساكر كثيرة من الفرنج وجاس فى بلاد الاسلام وخاضها حتّى وصل الى قريب قرطبة واكثر النهب والسبى والقتل فاجتمع المسلمون فى جيش عظيم زايد الحدّ فى الكثرة وقصدوه فلم يكن له بهم طاقة فتحصّن منهم فى حصن منيع له اسمه

Digitized by Google

ارنبسول[1] فحصروه وكبسهم ليلًا فانهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعاد الى بلاده ❁

ذكر قصد بلاد الاسماعيليّة بخراسان

فى هذه السنة امر الوزير المختصّ ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنيّة وقتلهم اين كانوا وحيثما ظُفر بهم ونَهْب اموالهم وسبى حريمهم وجهّز جيشًا الى طريثيث وهى لهم وجيشًا الى بيهق من اعمال نيسابور وكان فى هذه الاعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز[2] ومقدّمهم بها انسان اسمه الحسن بن سمين وسيّر الى كلّ طرف من اعمالهم جمعًا من الجند ووصّاهم ان يقتلوا من لقوه منهم فقصد كلّ طايفة الى الجهة التى سُيّرت اليها، فامّا القرية التى باعمال بيهق فقصدها العسكر فقتلوا كلّ من بها وهرب مقدّمهم وصعد منارة المسجد والقى نفسه منها فهلك، وكذلك العسكر المنفذ الى طريثيث قتلوا من اهلها فاكثروا وغنموا من اموالهم وعادوا ❁

ذكر ملك الاسماعيليّة قلعة بانياس

فى هذه السنة عظم امر الاسماعيليّة بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس فى ذى القعدة منها، وسبب ذلك انّ بهرام ابن اخت الاسدابادىّ لمّا قُتل خاله ببغداذ كما ذكرناه هرب الى الشام وصار داعى الاسماعيليّة فيه وكان يتردّد فى البلاد ويدعوا اوباش الناس وطغامهم الى مذهبه فاستجاب له منهم مَن لا عقل له فكثر جمعه الّا انّه يخفى شخصه فلا يعرف واقام بحلب مُدّةً ونفق على ايلغازى صاحبها واراد ايلغازى ان يعتضد به لاتقآء الناس شرّه وشرّ اصحابه لانّهم كانوا يقتلون كلّ من خالفهم وقصد من يتمسّك بهم واشار ايلغازى على طغتكين صاحب دمشق بان يجعله عنده لهذا السبب فقبل رآيه واخذه اليه فاظهر حينيذ شخصه واعلن

---

[1]) Bodl. ازنول; C. P. اربسول. [2]) C. P. طرر; Bodl. طور.

Digitized by Google

بدعوته فكثر اتباعه من كلّ من يريد الشرّ والفساد واعانه الوزير ابو طاهر بن سعد المرغينانيّ قصدًا للاعتضاد به على ما يريد فعظم شرّه واستفحل امره وصار اتباعه اضعاف ممّا كانوا فلولا انّ عامّة دمشق يغلب عليهم مذاهب اهل السُنّة وانّهم يشدّدوا عليه فيما ذهب اليه لملك البلد، ثمّ انّ بهرام رأى من اهل دمشق فَظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنًا يأوى اليه هو ومن اتبعه فاشار الوزير بتسليم قلعة بانياس اليه فسُلّمتْ اليه فلمّا سار اليها اجتمع اليه اصحابه من كلّ ناحية فعظم حينيذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتدّ الحال على الفقهآء والعلمآء واهل الدين لا سيّما اهل السُنّة والستر والسلامة الّا انّهم لا يقدرون على ان ينطقوا بحرف واحد خوفًا من سلطانهم اوّلًا ومن شرّ الاسماعيليّة ثانيًا فلم يقدم احد على انكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوايرة

ذكر قتل البُرسقيّ وملك ابنه عزّ الدين مسعود

في هذه السنة ثامن ذى القعدة قُتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقيّ صاحب الموصل بمدينة الموصل قتلته الباطنيّة يوم جمعة بالجامع وكان يصلّى الجمعة مع العامّة وكان قد رأى تلك الليلة فى منامه انّ عدّة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقى ما اذاه فقصّ رويا على اصحابه فاشاروا عليه بترك الخروج من داره عدّة ايّام فقال لا اترك الجمعة لشيء ابدًا فغلبوا على رأيه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فاخذ المصحف يقرأ فيه فاوّل ما رأى وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا[1] فركب الى الجامع على عادته وكان يصلّى فى الصفّ الاوّل فوثب عليه بضعة عشر نفسًا عدّة الكلاب الّتى رآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقُتل رحمه الله، وكان مملوكًا تركيًّا خيّرًا يحبّ اهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من

---

[1]) Cor. 33, vs. 38.

Digitized by Google

خير الولاة يحافظ على الصلوات فى اوقاتها ويصلّى من الليل متهجّدًا، حكى لى والدى رحمه الله عن بعض من كان يخدمه قال كنتُ فرّاشًا معه فكان يصلّى كلّ ليلة كثيرًا وكان يتوضّا هو بنفسه ولا يستعين باحد ولقد رايتُه فى بعض ليالى الشتآء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجيّة صغيرة وبر وبيده ابريق فمشا نحو دجلة لياخذ مآء فمنعنى البرد من القيام ثمّ انّنى خفتُهُ فقمتُ الى بين يدَيْه لآخذ الابريق منه فمنعنى وقال يا مسكين ارجع الى مكانك فانّه برد فاجتهدتُ لآخذ الابريق فلم يعطنى وردّنى الى مكانى ثمّ توضّأ وقام يصلّى، ولمّا قُتل كان ابنه عزّ الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فارسل اليه اصحاب ابيه بالخبر فسار الى الموصل ودخلها اوّل ذى الحجّة واحسن الى اصحاب ابيه بها واقرّ وزيره المؤيّدَ ابا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزّاق على وزارته واطاعه الامرآء والاجناد واحدر الى خدمة السلطان محمود فاحسن اليه واعاده ولم يختلف عليه احد من اهل بلاد ابيه، ووقع البحث عن حال الباطنيّة والاستقصآء عن اخبارهم فقيل انّهم كانوا يجلسون الى اسكاف بدرب ايليا فاحضر ووعد الاحسان ان اقرّ فلم يقرّ فهدّد بالقتل فقال انهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكّنوا منه الى الآن فقُطعت يداه ورجلاه وذكرُهُ ورجم بالحجارة فمات، ومن العجب انّ صاحب انطاكية ارسل الى عزّ الدين ابن البُرسقىّ يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدّة عنايته بمعرفة الاحوال الاسلاميّة، ولمّا استقرّ عزّ الدين فى الولاية قبض على الامير بابكر بن ميكائيل وهو من اكابر الامرآء وطلب منه ان يسلّم ابن اخيه قلعة اربل الى الامير فضل وابى علىّ ابنَىْ اخى الهيجآء وكان ابن اخيه قد اخذها منه سنة سبع عشرة فراسل ابن اخيه فسلّم اربل الى المذكورَيْن ۞

ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود

كان قد جرى بين يرنقش الزكوىّ شحنة بغداذ وبين نوّاب

الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدّده الخليفة فيها فخافه على نفسه فسار عن بغداذ الى السلطان محمود فى رجب من هذه السنة وشكى اليه وحذّره جانب الخليفة واعلمه انّه قد قاد العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه ومتى لم تعاجلْه بقصد العراق دخول بغداذ والّا ازداد قوّة وجمًّا ومنعه عنه وحينيذ يتعذّر عليه ما هو الآن بيده، فتوجّه السلطان نحو العراق فارسل اليه الخليفة يعرّفه ما هى البلاد واهلها عليه من الضعف والوهن بسبب دبيس وافساد عسكره فيها وانّ الغلآء قد اشتدّ بالناس لعدم الغلّات والاقوات لهرب الاكرة عن بلادهم ويطلب منه ان يتاخّر هذه الدفعة الى ان ينصلح حال البلاد ثمّ يعود اليها فلا مانع له عنها وبذل له على ذلك مالًا كثيرًا، فلمّا سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرّره الزكوىّ وانى ان يجيب الى التاخّر وضمّم العزم وسار اليها مجدًّا، فلمّا بلغ الخليفة الخبر عبر هو واهله وحرمه ومَنْ عنده من اولاد الخلفآء الى الجانب الغربىّ فى ذى القعدة مُظهرًا للغضب والانتزاح عن بغداذ انْ قصدها السلطان فلمّا خرج من داره بكا الناس جميعهم بكآءً عظيمًا لم يشاهد مثله، فلمّا علم السلطان ذلك اشتدّ عليه وبلغ منه كلّ مبلغ فارسل يستعطف الخليفة ويسأله العود الى داره فاعاد الجواب انّه لا بدّ من عودك هذه الدفعة فانّ الناس هلكى بشدّة الغلآء وخراب البلاد وانّه لا يرى فى دينه ان يزداد ما بهم وهو يشاهدهم فان عاد السلطان والّا رحل هو عن العراق لئلّا يشاهد ما يلقى الناسُ بمجىء العساكر، فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداذ واقام الخليفة بالجانب الغربىّ فلمّا حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلّى بهم فبكى الناس لخطبته وارسل عفيفًا الخادم وهو من خواصّه فى عسكر الى واسط ليمنع عنها نوّاب السلطان فارسل السلطان اليه عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان له حينيذ البصرة وقد فارق البرسقىّ واتّصل بالسلطان فاقطعه البصرة، فلمّا وصل عفيف الى واسط سار

Digitized by Google

اليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقيّ وكان عفيف بالجانب الغربيّ فارسل اليه عماد الدين يحذّره القتال ويامره بالانتزاح عنها فابا ولم يفعلْ فعبر اليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقُتل منهم مقتلة عظيمة وأُسر مثلهم وتغافل عن عفيف حتّى نجا لمودّة كانت بينهما، ثمّ انّ الخليفة جمع السفن جميعها اليه وسدّ ابواب دار الخلافة سوى باب النُوبيّ وامر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشى الخليفة بالجانب الشرقيّ سواه، ووصل السلطان الى بغداذ فى العشرين من ذى الحجّة ونزل بباب الشماسيّة ودخل بعض عسكره الى بغداذ ونزلوا فى دور الناس فشكا الناس ذلك الى السلطان فامر باخراجهم وبقى فيها من له دار وبقى السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصُلح وهو يمتنع وكان يجرى بين العسكريّين مناوشة والعامّة من الجانب الغربيّ يسبّون السلطان افحش سبّ، ثمّ ان جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة اوّل المحرّم سنة احدى وعشرين وضجّ اهلُ بغداذ من ذلك فاجتمعوا ونادوا الغزاة فاقبلوا من كلّ ناحية ولمّا رآهم الخليفة خرج من السرادق والشمسة على راسه والوزير بين يدَيْه وامر بضرب الكوسات والبوقات ونادى باعلى صوته بال هاشم وامر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعةً واحدةً وكان له فى الدار الف رجل مختفين فى السراديب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فأُسر منهم جماعة من الامرآء ونهب العامّة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامرآء ودار عزيز الدين المستوفى ودار الحكيم اوحد الزمان الطبيب وقُتل منهم خلق كثير فى الدروب ثمّ عبر الخليفة الى الجانب الشرقيّ ومعه ثلاثون الف مقاتل من اهل بغداذ والسواد وامر بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداذ من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتدّ الامر عليهم وكان القتال كلّ يوم عليهم عند ابواب البلد وعلى شاطى

دجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الامير ابو الهيجآء الكردىّ صاحب اربل وخرج كانّه يريد القتال فانحاز هو وعسكره بالسلطان، وكان السلطان قد ارسل الى عماد الدين بواسط يامره ان يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة فى السفن وعلى الدوابّ فى البرّ فجمع كلّ سفينة فى البصرة الى بغداذ وشحنها بالرجال المقاتلة واكثر من السلاح واصعد فلمّا قارب بغداذ امر كلّ من معه فى السفن وفى البرّ بلبس السلاح واظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن فى المآء والعسكر فى البرّ على شاطى دجلة قد انتشروا وملأوا الارض برًّا وبحرًا فرأى الناس منظرًا عجيبًا كبر فى اعينهم وملأ صدورهم وركب السلطان والعسكر الى لقآيهم فنظروا الى ما يروا مثله وعظم عماد الدين فى اعينهم وعزم السلطان على قتال بغداذ حينيذ والجدّ فى ذلك فى البرّ والمآء، فلمّا رأى الامام المسترشد بالله الامر على هذه الصورة وخروج الامير الى الهيجآء من عنده اجاب الى الصلح وتردّدت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان ممّا جرى وكان حليمًا يسمع سبّه باذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن اهل بغداذ جميعهم وكان اعدآء الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداذ فلم يفعل وقال لا تساوى الدنيا فعل مثل هذا، واقام ببغداذ الى رابع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وحمل الخليفة من المال اليه كما استقرّت القاعدة عليه واهدى له سلاحًا وخيلًا وغير ذلك فرض السلطان ببغداذ فاشار عليه الاطبّآء بمفارقتها فرحل الى همذان فلمّا وصلها عوفى ۞

ذكر مصاف بين طغتكين اتابك والفرنج بالشام

فى هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقامصتها وكنودها وساروا الى نواحى دمشق فنزلوا بمرج الصُفّر عند قرية يقال لها سقحبا بالقرب من دمشق فعظم الامر على المسلمين واشتدّ خوفهم وكاتب طغتكينُ اتابك صاحبها امرآء التركمان من ديار بكر وغيرها

وجمعهم وكان هو قد سار عن دمشق الى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بورى فكان بها كما جات طايفة احسن ضيافتهم وسيّرهم الى ابيه فلمّا اجتمعوا سار بهم طغتكين الى الفرنج فالتقوا اواخر ذى الحجّة واقتتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه فظنّ اصحابه انّه قُتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقى التركمان لم يقدروا ان يلحقوا بالمسلمين فى الهزيمة فتخلّفوا فلمّا رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وانّ معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حامٍ حملوا على الرجّالة فقتلوهم ولم يسلم منهم الّا الشريد ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم واموالهم وجميع ما معهم وفى جملته كنيسة وفيها من الذهب والجواهر ما لا يقوم كثرةً فنهبوا ذلك جميعه وعادوا الى دمشق سالمين لم يعدم منهم احدٌ، ولمّا رجع الفرنج من اثر المنهزمين ورأوا رجّالتهم قَتْلَى واموالهم منهوبة تمّوا منهزمين لا يلوى الاخ على اخيه وكان هذا من الغريب انّ طايفتَيْن ينهزمان كلّ واحدة منهما من صاحبتها ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة حصر الفرنج رفنية من ارض الشام وهى بيد المسلمين وضيّقوا عليها فملكوها، وفيها توفّى ابو الفتح احمد بن محمّد ابن محمّد الغزّالىّ الواعظ وهو اخو الامام ابى حامد محمّد وقد ذمّه ابو الفرج بن الجوزىّ باشياء كثيرة منها روايته فى وعظه الاحاديث الّتى ليست له بصحيحة والعجب انّه يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو ووعظه محشوّ به ملموّ منه نسأل الله ان يعيذنا من الوقيعة فى الناس ثم ياليت شعرى اما كان للغزّالىّ حسنة تذكر مع ما ذكر من المساوى الّتى نسبها اليه ليتلا ينسب الى الهوى والغرض ☆

ثم دخلت سنة احدى وعشرين وخمسماية، سنة ٥٢١

ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكى شحنكيّة العراق

فى هذه السنة فى ربيع الآخر اسند السلطان محمود شحنكيّة

Digitized by Google

العراق الى عماد الدين زنكى بن آقسنقر، وكان سبب ذلك انّ عماد الدين لمّا اصعد من واسط فى التجمّل والجمع الذى ذكرناه وقام فى حفظ واسط والبصرة وتلك النواحى انقيام الذى عجز غيره عنه عظم فى صدر السلطان وصدور امرآيه فلمّا عزم السلطان على المسير عن بغداذ نظر فيمن يصلح ان يلى شحنكيّة العراق يامن معه من الخليفة فاعتبر امرآءه واعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم فى هذا الامر مقام عماد الدين فاستشار فى ذلك فكلّ اشار به وقالوا لا نقدر على رقع بهذا الخرق واعادة ناموس هذه الولاية ولا تَقْوى نفس احد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكى، فوافق ما عنده فاسند اليه الولاية وفوّضها مضافًا الى ما له من الاقطاع وسار عن بغداذ وقد اطمانّ قلبه من جهة العراق فكان الامر كما ظنّ ۞

ذكر عود السلطان عن بغداذ ووزارة انوشروان بن خالد

فى هذه السنة فى عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداذ بعد تقرير القواعد بها ولمّا عزم على المسير حمل اليه الخليفة الخلع والدوابّ الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولمّا ابعد عن بغداذ قبض على وزيره ابى القاسم علىّ بن القاسم الانسباذىّ فى رجب لانّه اتّهمه بمالاة المسترشد بالله لقيامه فى امره واتمام الصُلح مقامًا ظهر اثره فسعى به اعدآؤه فلمّا قبض عليه ارسل السلطان الى بغداذ احضر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان مُقيمًا بها فلمّا علم بذلك جاءته الهدايا من كلّ احد حتّى من الخليفة وسار عن بغداذ خامس شعبان فوصل الى السلطان وهو باصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقى فيها نحو عشرة اشهر ثمّ استعفى فيها وعزل نفسه وعاد الى بغداذ فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسماية، واما الوزير ابو القاسم فانّه بقى مقبوضًا الى ان خرج السلطان سنجر الى الرىّ سنة اثنتين وعشرين فاخرجه من الحبس فى ذى الحجّة واعاده الى وزارة السلطان محمود وهى الوزارة الثانية ۞

Digitized by Google

ذكر وفاة عزّ الدين بن البُرسقيّ وولاية عماد الدين زنكى الموصل واعمالها

فى هذه السنة توفّى عزّ الدين مسعود بن البرسقيّ وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة وسبب مسيره اليها انّه لمّا استقامت امورة فى ولايته وراسل السلطان محمود وخطب له ولاية ما كان ابوه يتولّاه من الموصل وغيرها فاجاب السلطان الى ما طلب فرتّب الامور وقرّرها فكثر جنده وكان شجاعًا شهمًا فطمع فى التغلّب على بلاد الشام فجمع عساكره وسار الى الشام يريد قصد دمشق فابتدا بالرحبة فوصل اليها ونازلها وقام بحاصرها فاخذه مرض حادٌّ وهو محاصر لها فتسلّم القلعة ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها اليه ولمّا مات بقى مطروحًا على بساط ثم يُدْفن وتفرّق عنه عسكره ونهب بعضهم بعضًا فشغلوا عنه ثم دُفن بعد ذلك وقام بعده اخٌ له صغير واستولى على البلاد مملوك للبرسقيّ يعرف بالجاولى ودبّر امر الصبىّ وارسل الى السلطان يطلب ان يقرّر البلاد على ولد البرسقيّ وبذل الاموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول فى هذا الامر القاضى بهآء الدين ابو الحسن علىّ بن القاسم الشهرزورىّ وصلاح الدين محمّد امير حاجب البرسقيّ فحضرا دركاه السلطان ليخاطبا فى ذلك وكانا يخافان جاولى ولا يرضيان بطاعته والتصرّف بما يحكم به فاجتمع صلاح الدين ونصير الدين جقر الذى صار نايبًا عن اتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وافشى اليه سرّه فخوّفه نصير الدين من جاولى وقبّح عنده طاعته وقرّر فى نفسه انّه انّما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ومتى أُجيب الى مطلوبه ولا يبقى على احد منهم وتحدّث معه فى المخاطبة فى ولاية عماد الدين زنكى وضمن له الولايات والاقطاع الكثير وكذلك للقاضى بهآء الدين الشهرزورىّ فاجابه الى ذلك واحضره معه عند القاضى بهآء الدين وخاطباه فى هذا الامر وضمن له كلّ ما اراده

فوافقها على ما طلبا وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير وهو حينيذ شرف الدين انوشروان بن خالد وقالا له قد علمتَ انت والسلطان انّ ديار الجزيرة والشام قد تمكّن الفرنج منه وقويت شوكتهم بها فاستولوا على اكثرها وقد اصبحَتْ ولايتهم من حدود ماردين والى عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقيّ مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر اليه يكفّ بعض عاديتهم وشرّهم فكُم قُتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفلٌ صغيرٌ ولا بدّ للبلاد من رجلٍ شهْمٍ شجاع ذى رآى وتجربة يذبّ عنها ويحفظها ويحمى حوزتها وقد انهيْنا الحال لمثلًا يجرى خللٌ او وهنٌ على الاسلام والمسلمين فيختصّ اللوم بنا ويقال لا انهيتم الينا جلية الحال، فرفع الوزير قولهما الى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية[1] فذكر جماعة منهم عماد الدين زنكى وبذلا عنه تقرّبًا الى خزانة السلطان مالًا جليلًا فاجاب السلطان الى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فاحضره وولّاه البلاد كلّها وكتب منشوره بها، وسار فبدأ بالبوازيج ليملكها ويتقوّى بها ويجعلها ظهره لانّه خاف من جاولى انّه ربّما صدّه عن البلاد فلمّا دخل البوازيج سار عنها الى الموصل، فلمّا سمع جاولى بقربه من البلد خرج الى تلقّيه ومعه جميع العسكر فلمّا رآه جاولى نزل عن فرسه وقبّل الارض بين يدَيْه وعاد فى خدمته الى الموصل فدخلها فى رمضان واقطع جاولى الرحبة وسيّره اليها واقام بالموصل يصلح امورها ويقرّر قواعدها فولّى نصير الدينَ دزداريّة القلعة بالموصل وجعل اليه ساير دزداريّة القلاع وجعل صلاح الدين محمّدًا امير حاجب وبهآء الدين قاضى قضاة بلاده جميعها وزاده املاكًا واقطاعًا واحترامًا وكان لا يصدر الّا عن رآيه، فلمّا فرغ من امر الموصل سار عنها

---

1) Cod. للوزارة.

Digitized by Google

الى جزيرة ابن عمر وبها مماليك البرسقيّ فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم البذول الكثيرة ان سلّموا فلم يجيبوه الى ذلك فجدّ في قتالها وبينه وبين البلد دجلة فامر الناس فالقوا انفسهم في الماء ليعبروه الى البلد ففعلوا وعبر بعضهم سباحةً وبعضهم في السفن وبعضهم في الاكلاك وتكاثروا على اهل الجزيرة وكانوا قد خرجوا عن البلد الى ارض بين الجزيرة ودجلة تعرف بالزلّاقة ليمنعوا من يريد عبور دجلة فلمّا عبر العسكر اليهم قاتلوهم ومانعوهم فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم فانهزم اهل البلد ودخلوه وتحصّنوا باسواره واستولى عماد الدين على الزلّاقة فلمّا رأى من بالبلد ذلك ضعفوا ووهنوا وايقنوا انّ البلد يملك سلمًا او عنوةً فارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وكان هو ايضًا مع عسكره بالزلّاقة فسلّموا البلد اليه فدخله هو وعسكره ثم انّ دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سور البلد وصارت الزلّاقة ماء فلو اقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره ولم ينج منهم احد فلمّا رأى الناس ذلك ايقنوا بسعادته وايقنوا انّ امرًا هذا بدايته لعظيم، ثم سار عن الجزيرة الى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش صاحب ماردين فلمّا نازلها سار حسام الدين الى ابن عمّه ركن الدولة داود بن سقمان بن ارتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده على اتابك زنكي فوعده الناجدة بنفسه وجمع عسكره وعاد تمرتاش الى ماردين وارسل رقاعًا على اجنحة الطيور الى نصيبين يعرف مَن بها من العسكر انّه وابن عمّه سايران في العسكر الكثير اليهم وازاحة عماد الدين عنهم ويامرهم بحفظ البلد خمسة ايّام، فبينما اتابك في خيمته اذ سقط طاير على خيمة تقابله فامر به فصيد فرأى فيه رقعة فقرأها وعرف ما فيها فامر ان يكتب غيرها يقول فيها انّني قصدتُ ابنَ عمّي ركن الدولة وقد وعدني النُصرة وجمع العساكر وما يتاخّر عن الوصول اكثر من عشرين يومًا ويامرهم بحفظ البلد هذه المدّة الى ان يصلوا، وجعلها في الطاير

Digitized by Google

وارسله فدخل نصيبين فلمّا وقف من بها على الرقعة سقط فى ايديهم وعلموا انّهم لا يقدرون يحفظون البلد هذه المدّة فارسلوا الى الشهيد وصالحه وسلّموا البلد اليه فبطل على تمرتاش وداود ما كانا عزما عليه وهذا من غريب ما يُسْمع، فلمّا ملك نصيبين سار عنها الى سنجار فامتنع من بها عليه ثمّ صالحوه وسلّموا البلد اليه وسيّر منها الشحن الى الخابور فملكه جميعه، ثمّ سار الى حرّان وهى للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحى جميعها للفرنج واهل حرّان معهم فى ضرّ عظيم وضَيْق شديد لخلوّ البلاد من حامٍ يذبّ عنها وسلطانٍ يمنعها فلما قارب حرّان خرج اهل البلد واطاعوه وسلّموا اليه فلمّا ملكها ارسل الى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدّة يسيرة وكان غرضه ان يتفرّغ لاصلاح البلاد وجنّد الاجناد وكان اهمّ الامور اليه ان يعبر الفرات الى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشاميّة فاستقرّ الصُلح بينهم وامن الناس ونحن نذكر ملك حلب ان شآء الله تعالى ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قُتل مُعين الملك ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتلته الباطنيّة وكان له فى قتالهم اثار حسنة ونيّة صالحة فرزقه الله الشهادة، وفيها ولّى السلطان شحنكيّة بغداذ مجاهد الدين بهروز لمّا سار اتابك زنكى الى الموصل، وفيها رُتّب الحسن بن سليمان فى تدريس النظاميّة ببغداذ، وفيها اوقع السلطان سنجر بالباطنيّة فى ألَموت فقتل منهم خلقًا كثيرًا قيل كانوا يزيدون على عشرة الاف نفس، توفّى هذه السنة علىّ بن المبرك ابو الحسن المقرى المعروف بابن الفاعوس الحنبلىّ ببغداذ فى شوّال وكان صالحًا، وفى شوّال توفّى محمّد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد ابو الحسن بن ابى الفضل الهمذانىّ الفرضىّ صاحب التاريخ ✿

Digitized by Google

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسماية ، سنة ٥٢٢

ذكر ملك اتابك عماد الدين زنكى مدينة حلب

فى هذه السنة اوّل المحرّم ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها ، فنقول قد ذكرنا مُلك البرسقىّ لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعودًا ولمّا قُتل البرسقىّ سار مسعود عنها الى الموصل وملكها واستناب بحلب اميرًا اسمه قومان ثم انّه ولّى عليها اميرًا اسمه قتلغ ابه وسيّره بتوقيع الى قومان بتسليمها فقال بينى وبين عزّ الدين علامة لم ارها ولا اسلّم الّا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقىّ حسن التصوير فعاد قتلغ ابه الى مسعود وهو بحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد الى حلب مُسرعًا وعرف الناس موتَه فسلّم الرئيس فضايل بن بديع البلد واطاعه المقدّمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد ان صحّ عنده وفاة صاحبه مسعود واعطوه الف دينار فتسلّم قتلغ القلعة فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين فظهر منه بعد ايّام جور شديد وظلم عظيم ومدّ يده الى اموال الناس لا سيّما التركات فانّه اخذها وتقرّب اليه الاشرار فنفرت قلوب الناس منه ، وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار بن ارتق الذى كان قديمًا صاحبها فاطاعه اهلها وقاموا ليلة الثلثآء ثانى شوّال فقبضوا على كلّ من كان بالبلد من اصحاب قُتلغ ابه وكان اكثرهم يشربون فى البلد صبحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصّن قتلغ ابه فيها بمن معه فحصروه ووصل الى حلب حسّان صاحب منبج وحسن صاحب بُزاعة لاصلاح الامر فلم ينصلح ، وسمع الفرنج بذلك فتقدّم جوسلين بعسكره الى المدينة فصونع بمال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب انطاكية فى جمع من الفرنج فخندق الحلبيّون حول القلعة تمنع الداخل والخارج اليها من ظاهر البلد واشرف الناس على الخطر العظيم

الى منتصف ذى الحجّة من السنة، وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسيّر الى حلب الاميرَ سُنقر دراز والاميرَ حسن قراقوش وهما من اكابر امرآء البرسقىّ وقد صاروا معه فى عسكر قوى ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقرّ الامر ان يسير بدر الدولة بن عبد الجبّار وقتلغ ابه الى الموصل الى عماد الدين فسارا اليه واقام حسن قراقوش بحلب واليًا عليها ولاية مستعارة فلمّا وصل بدر الدولة وقتلغ ابه الى عماد الدين اصلح بينهما ولم يردّ واحدًا منهما الى حلب وسيّر حاجبَهُ صلاح الدين محمّد الباغسيانىّ اليها فى عسكر فصعد الى القلعة ورتّب الامور وجعل فيها واليًا، وسار عماد الدين زنكى الى الشام فى جيوشه وعساكره فلمّا فى طريقه مدينة منبج وبُزاعة وخرج اهل حلب اليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتّب اموره واقطع اعماله الاجناد والامرآء فلمّا فرغ من الذى اراده قبض على قتلغ ابه وسلّمه الى ابن بديع فكحله بداره بحلب فمات قتلغ ابه واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جَعْبر واستجار بصاحبها فاجاره وجعل عماد الدين فى رياسة حلب ابا الحسن علىّ بن عبد الرزّاق ولو لا انّ الله تعالى منّ على المسلمين بملك اتابك ببلاد الشام * لملكها الفرنج لانّهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشاميّة واذا[1] علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها واغار عليها فيضطرّ الفرنج الى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى انّه توفّى هذه السنة فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة اهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر قدوم السلطان سنجر الى الرىّ

فى هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان الى الرىّ فى

[1]) Bodl.

Digitized by Google

جيش كثير، وكان سبب ذلك انّ دُبَيْس بن صدقة لمّا وصل اليه هو والملك طغرل على ما ذكرناه لم يزل يُطمعه فى العراق ويُسهّل عليه قصده ويُلقى فى نفسه انّ المسترشد بالله والسلطان محمود متّفقان على الامتناع منه ولم يزل به حتّى اجابه الى المسير الى العراق فلمّا ساروا وصل الى الرىّ وكان السلطان محمود بهمذان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته ام قد تغيّر على ما زعم دبيس فلمّا جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمّه فلمّا وصل اليه امر العسكر جميعه بلقآيه واجلسه معه على التخت وبالغ فى اكرامه واقام عنده الى منتصف ذى الحجّة ثمّ عاد السلطان سنجر الى خراسان وسلّم دبيسًا الى السلطان محمود ووصّاه باكرامه واعادته الى بلده ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثمّ سارا الى العراق فلمّا قاربا بغداذ خرج الوزير الى لقآيه وكان قدومه تاسع المحرّم سنة ثلاث وعشرين، وكان الوزير ابو القاسم الانسابادىّ قد قبض السلطان محمود عليه فلمّا اجتمع بالسلطان سنجر امر باطلاقه فاطلقه وقرّره سنجر فى وزارة ابنته لمّا زوّجها بالسلطان محمود فلمّا وصل معه الى بغداذ اعاده محمود الى وزارته فى الرابع والعشرين من المحرّم وهى وزارته الثانية ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ثامن صفر توفّى اتابك طغتكين صاحب دمشق وهو مملوك الملك تتش بن الب ارسلان وكان عاقلًا خيّرًا كثير الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة فى رعيّته موثر للعدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولمّا توفّى ملك بعده ابنه تاج الملوك بورى وهو اكبر اولاده بوصيّة من والده له بالملك واقرّ وزير ابيه ابو علىّ طاهر بن سعد المزدقانىّ على وزارته، وفيها مستهلّ رجب توفّى الوزير جلال الدين ابو علىّ بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعًا محبًّا لاهل العلم مكرمًا لهم وله شعر حسن فمنه

Digitized by Google

فى مدح المسترشد بالله

وجدتُ الورَى كالماء طبعًا ورقّةً ... وانّ امير المومنين زُلالهُ
وصوّرتُ مَعْنى العقل شخصًا مصوّرًا ... وانّ امير المومنين مثالهُ
ولو لا طريق الدين والشرع وانتُقى ... لقلتُ من الاعظام جلّ جلالهُ

وأُقيم فى النيابة بعده شرف الدين علىّ بن طِراد الزينبىّ ثم جُعل وزيرًا وخُلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يزر للخلفاء من بنى العبّاس هاشمىّ غيره، وفيها هبّت ريح شديدة اسودّ لها الآفاق وجاءت بتراب احمر يُشْبه الرمل وظهر فى السماء اعمدة كانّها نار فخاف الناس وعدلوا الى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم ما يخافونه ☆

سنة ٥٢٣ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسماية،

ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداذ

فى هذه السنة فى المحرّم قدم السلطان محمود بغداذ بعد عوده من عند عمّه السلطان سنجر ومعه دُبَيْس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتاخّر دبيس عن السلطان ثم دخل بغداذ ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الاجابة الى ان تولّى دبيس شىء من البلاد وبذل ماية الف دينار لذلك وعلم اتابك زنكى انّ السلطان يريد ان يولّى دبيس الموصل فبذل ماية الف دينار وحصر بنفسه الى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به الّا وهو عند الستر وحمل معه الهدايا الجليلة فاقام عند السلطان ثلاثة ايّام وخلع عليه واعاده الى الموصل وخرج السلطان يتصيّد فعمل له شيخ المَزْرَفة دعوةً عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان وادخله الى حمّام فى داره وجعل فيها حِوَض الماء ماء الورد فاقام السلطان الى رابع جمادى الآخرة وسار عنها الى همذان وجعل بهروز على شحنكيّة بغداذ وسُلّمت اليه الحلّة ايضًا ☆

Digitized by Google

ذكر ما فعله دبيس بالعراق وعود السلطان الى بغداذ

لمّا رحل السلطان الى همذان ماتت زوجته وهى ابنة السلطان سنجر وهى لذلك كانت تعنى بامر دبيس وتدافع عنه فلمّا ماتت انحلّ امر دبيس، ثم انّ السلطان مرض مرضًا شديدًا فاخذ دبيس ابنًا له صغيرًا وقصد العراق فلمّا سمع المسترشد بالله بذلك جنّد الاجناد وحشد وكان بهروز بالحلّة فهرب منها فدخلها دبيس فى شهر رمضان فلمّا سمع السلطان الخبر عن دبيس احضر الاميرَيْن قزل والاحمديلىّ وقال انتما ضمنتما دبيسًا منّى واربده منكما، فسار الاحمديلىّ الى العراق الى دبيس ليكفّ شرّه عن البلاد ويحصره الى السلطان فلمّا سمع دبيس الخبر ارسل الى الخليفة يستعطفه ويقول ان رضيتَ عنّى فانا اردّ اضعاف ما اخذتُ واكون العبد المملوك، فتردّد الرسل ودبيس يجمع الاموال والرجال فاجتمع معه عشرة الاف فارس وكان قد وصل فى ثلاثماية فارس ووصل الاحمديلىّ بغداذَ فى شوّال وسار فى اثر دبيس، ثم انّ السلطان سار الى العراق فلمّا سمع دبيس بذلك ارسل اليه هدايا جليلة المقدار وبذل ثلاثماية حصان منعلة بالذهب ومايتَىْ الف دينار ليرضى منه السلطان والخليفة فلم يجبه الى ذلك ووصل السلطان الى بغداذ فى ذى القعدة فلقيه الوزير الزينبىّ وارباب المناصب فلمّا تيقّن دبيس وصوله رحل الى البرّية وقصد البصرة واخذ منها اموالًا كثيرة وما للخليفة والسلطان هناك من الدخل فسيّر السلطان اثره عشرة الاف فارس ففارق البصرة ودخل البرّية۞

ذكر قتل الاسماعيليّة بدمشق

قد ذكرنا فيما تقدّم قتْل ابراهيم الاسداباذىّ ببغداذ وقُرْب ابن اخته بهرام الى الشام ومَلْكه قلعة بانياس ومسيره اليها ولمّا فارق دمشق اقام له بها خليفة يدعوا الناس الى مذهبه فكثروا وانتشروا وملك هو عدّة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادى التَيْم من اعمال بعلبكّ اصحاب مذاهب مختلفة من النُصيريّة والدرزيّة

والمجوس وغيرهم واميرهم اسمه الضحّاك فسار اليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقاتلهم فخرج اليه الضحاك فى الف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة وقُتل بهرام وانهزم من سلم وعادوا الى بانياس على اقبح صورة وكان بهرام قد استخلف فى بانياس رجلًا من اعيان اصحابه اسمه اسماعيل فقام مقامه وجمع شمل من عاد اليه منهم وبثّ دُعاته فى البلاد وعاضده المزدقانىّ ايضًا وقوى نفسه على ما عنده من الامتعاض بهذه الحادثة والهمّ بسببها، ثم انّ المزدقانىّ اقام بدمشق عوض بهرام انسانًا اسمه ابو الوفا فقوى امره وعلا شانه وكثر اتباعه وقام بدمشق فصار المستولى على من بها من المسلمين وحكمه اكثر من حكم صاحبها تاج الملوك، ثم انّ المزدقانىّ راسل الفرنجَ ليسلّم اليهم مدينة[1] دمشق ويسلّموا اليه مدينة صور واستقرّ الامر بينهم على ذلك وتقرّر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه وقرّر المزدقانىّ مع الاسماعيليّة ان يحتاطوا ذلك اليوم على ابواب الجامع فلا يمكّنون احدًا يخرج منه ليجىء الفرنج ويملكوا البلاد، فبلغ الخبر الى تاج الملوك صاحب دمشق فاستدعى المزدقانىّ اليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلّق راسه على باب القلعة ونادى فى البلد بقتل الباطنيّة فقُتل منهم ستّة الاف نفس وكان ذلك منتصف رمضان من السنة وكفى الله المسلمين شرّهم وردّ على الكافرين كيدهم، ولمّا تمّت هذه الحادثة بدمشق على الاسماعيليّة خاف اسماعيل والى بانياس ان يثور به ومن معه الناس فيهلكوا فراسل الفرنجَ وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فاجابوه فسلّم القلعة اليهم وانتقل هو ومن معه من اصحابه الى بلادهم ولقوا شدّة وذلّة وهوانًا وتوفّى اسماعيل اوايل سنة اربع وعشرين وكفى الله المومنين شرّهم ۞

---

[1]) In marg. Cod. قلعة.

Digitized by Google

ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم

لمّا بلغ الفرنج قتل الزدقانىّ والاسماعيليّة بدمشق عظم عليهم ذلك وتأسّفوا على دمشق حيث لم يتمّ لهم ملكها وعمّتهم المصيبة فاجتمعوا كلّهم صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من الفرنج وتمامصتهم ومن وصل اليهم فى البحر للتجارة والزيارة فاجتمعوا فى خلق عظيم نحو الفَىْ فارس واماّ الراجل فلا يحصى وساروا الى دمشق ليحصروها، ولمّا سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب والتركمان فاجتمع معهم ثمانية الاف فارس ووصل الفرنج فى ذى الحجّة فنازلوا البلد وارسلوا الى اعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلاد فلمّا سمع تاج الملوك انّ جمعًا كثيرًا قد ساروا الى حوران لنهبه واحضار الميرة فسيّر اميرًا من امرآيه يعرف بشمس الخواصّ فى جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم فى ليلة شاتية كثيرة المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوهم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلتْ منهم غير مقدّمهم ومعه اربعون رجلًا واخذوا ما معهم وهى عشرة الاف دابّة موقرة وثلاثماية اسير وعادوا الى دمشق لم يمسّسهم قرح، فلمّا علم من عليه من الفرنج ذلك القى الله فى قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين واحرقوا ما تعذّر عليهم حَمْله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد والبرد عظيم يقتلون كلّ من تخلّف منهم فكثر القتلى منهم وكان نزولهم ورحيلهم فى ذى الحجّة من هذه السنة ۞

ذكر ملك عماد الدين زنكى مدينة حماة

فى هذه السنة ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل مدينة حماة، وسبب ذلك انّه عبر الفرات الى الشام واظهر انّه يريد جهاد الفرنج وارسل الى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق يستنجده ويطلب منه المعونة على جهادهم فاجاب الى المراد وارسل من اخذ له العهود والمواثيق فلمّا وصلت التوثقة جرّد عسكرًا من

Digitized by Google

دمشق مع جماعة من الامرآء وارسل الى ابنه سونج وهو بمدينة حماة يامره بالنزول الى العسكر والمسير معهم الى زنكى ففعل ذلك فساروا جميعهم فوصلوا اليه فاكرمهم واحسن لقآئهم وتركهم ايّامًا ثم انّه غدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الامرآء المقدّمين ونهب خيامهم وما فيها من الكراع واعتقلهم بحلب وهرب من سوائهم وسار من يومه الى حماة فوصل اليها وهى خالية من الجند لحماة الذابّين فملكها واستولى عليها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها قرجان [1] بن قراجة معه فى عسكره وهو الذى اشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك فقبض عليه ونزل على حمص وحصرها وطلب من قرجان [1] صاحبها ان يامر نوّابه وولده الذين فيها بتسليمها فارسل اليهم بالتسليم فلم يقبلوا منه ولا التفتوا الى قوله فاقام عليها محاصرًا لها ومقاتلًا لمن فيها مدّة طويلة فلم يقدر على ملكها فرحل عنها عايدًا الى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الامرآء الدمشقيّين وتردّدت الرسل فى اطلاقهم بينه وبين تاج الملوك واستقرّ الامر على خمسين الف دينار فاجاب تاج الملوك الى ذلك ولم ينتظم بينهم امر ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ملك بيمند صاحب انطاكية حصن القدموس من المسلمين، وفى هذه السنة ايضا وثب الاسماعيليّة على عبد اللطيف بن الخجندىّ رئيس الشافعيّة باصبهان فقتلوه وكان ذا رياسة عظيمة وتحكّم كثير، فى هذه السنة توفّى الامام ابو الفتح اسعد بن ابى نصر الميهنىّ الفقيه الشافعىّ مدرّس للنظاميّة ببغداذ وله طريقة مشهورة فى الخلاف وتفقّه على ابى المظفّر السمعانىّ وكان له قبول عظيم عند الخليفة والسلطان وساير الناس، وفيها توفّى حمزة

---

[1]) C. P. خمرخان.

Digitized by Google

ابن هبة الله بن محمّد بن الحسن الشريف العلويّ الحسنيّ النيسابوريّ سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين واربعماية وجمع من شرف النسب شرف النفس والتقوى وكان زيديّ المذهب ٥

ثمّ دخلت سنة اربع وعشرين وخمسماية ٥٢٤ سنة

ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمّد خان وملك محمود بن محمّد خان المذكور

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وسبب ذلك انّه كان قد رتّب فيها لمّا ملكها اوّلًا ارسلان خان محمّد بن سليمان بن بغرا خان داود فاصابه فالج فاستناب ابنًا له يعرف بنصرخان وكان شهمًا شجاعًا وكان بسمرقند انسان علويّ فقيه مدرّس اليه الحلّ والعقد والحكم فى البلد فاتّفق هو ورئيس البلد على قتل نصرخان فقتلاه ليلًا وكان ابوه محمّد خان غايبًا فعظم عليه واشتدّ وكان له ابن آخر غايبًا فى بلاد تركستان فارسل اليه واستدعاه فلمّا قارب سمرقند خرج العلويّ ورئيس البلد الى استقباله فقتل العلويّ فى الحال وقبض على الرئيس وكان والده ارسلان خان قد ارسل الى السلطان سنجر رسولًا يستدعيه ظنًّا منه انّ ابنه لا يتمّ امره مع العلويّ والرئيس فتجهّز سنجر وسار يريد سمرقند فلمّا ظفر ابن ارسلان خان بهما ندم على استدعآء السلطان سنجر فارسل اليه يعرفه انّه قد ظفر بالعلويّ والرئيس وانّه وابنه على الطاعة ويسأله العود الى خراسان فغضب سنجر من ذلك واقام ايّامًا فبينما هو فى الصيد اذ رأى اثنى عشر رجلًا فى السلاح التامّ فقبض عليهم وعاقبهم فاقرّوا انّ محمّد خان ارسلهم ليقتلوه فقتلهم ثمّ سار الى سمرقند فملكها عنوة ونهب بعضها ومنع من الباقى وتحصّن منه محمّد خان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بامان بعد مدّة فلمّا نزل اليه اكرمه وارسله الى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقى عندها الى ان توفّى واقام سنجر بسمرقند مدّة حتّى اخذ

Digitized by Google

المال والسلاح والخزاين وسلّم البلد الى الامير حسن تكين وعاد الى خراسان فلم يلبث حسن تكين ان مات فملّك سنجر بعده عاميها محمود بن محمّد خان بن سليمان بن داود المقدّم ذكره وقيل انّ السبب غير ما ذكرناه وسيرد ذكره سنة ستّ وثلاثين للحاجة الى ذكره هناك ❁

ذكر فتح عماد الدين زنكى حصن الاثارب وهزيمة الفرنج

لمّا فرغ عماد الدين زنكى من امر البلاد الشاميّة حلب واعمالها وما ملكه وقرّر قواعده عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثمّ امرهم بالتجهّز للغزاة فتجهّزوا واعدّوا واستعدّوا وعاد الى الشام وقصد حلب فقوى عزمه على قصد حصن الاثارب ومحاصرته لشدّة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها وبين انطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربيّة حتّى على رحًا لاهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق وكان اهل البلد معهم فى ضرّ شديد وضَيْق كلّ يوم قد اغاروا عليهم ونهبوا اموالهم، فلمّا راى الشهيد هذه الحال صمّم العزم على حصر هذا الحصن فسار اليه ونازله، فلمّا علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلموا انّ هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيئًا الّا واستنفذوه فلمّا فرغوا من امرهم ساروا نحوه، فاستشار اصحابه فيما يفعل وكلّ اشار بالعود عن الحصن فانّ لقآء الفرنج فى بلادهم خطر لا يدرى على ايّ شىء تكون العاقبة، فقال لهم انّ الفرنج متى راونا قد عُدنا من ايديهم طمعوا وساروا فى اثرنا وخربوا بلادنا ولا بدّ من لقآيهم على كلّ حال، ثمّ ترك الحصن وتقدّم اليهم فالتقوا واصطفّوا للقتال وصبر كلّ فريق لخصْمه واشتدّ الامر بينهم ثمّ انّ الله تعالى انزل نصره على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم فى الاسر وقُتل منهم خلق كثير وتقدّم عماد الدين الى

عسكره بالانجاز وقال هذا اوّل مصافّ عملناه معهم فلنُذقهم من باسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ما امرهم، ولقد اجترتُ بتلك الارض سنة اربع وثمانين وخمسماية ليلًا فقيل لى انّ كثيرًا من العظام باقٍ الى ذلك الوقت، فلمّا فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلّموه عنوةً وقتلوا واسروا كلّ من فيه واخربه عماد الدين وجعله دكًا وبقى الى الآن خرابًا، ثمّ سار منه الى قلعة حارم وهى بالقرب من انطاكية فحصرها وهى ايضًا للفرنج فبذل له اهلها نصف دخل بلد حارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الاعمال وضعفت قُوَى الكافرين وعلموا انّ البلاد قد جآها ما لم يكن لهم فى حساب وصار قصاراهم حفظ ما بايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع ☆

ذكر ملك عماد الدين زنكى ايضًا مدينة سرجى ودارا

لمّا فرغ من امر الاثارب وتلك النواحى عاد الى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين وابن عمّه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا قوارص فعاد اليهم وحصر مدينة سرجى وهى بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقًا كثيرًا من التركمان بلغت عدّتهم عشرين الفًا وساروا اليه فتصافّوا بتلك النواحى فهزمهم عماد الدين وملك سرجى، فحكى لى والدى قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر الى عماد الدين فسار نحو الجزيرة واراد دخول بلد داود ثمّ عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التى فى الطريق وسار الى دارا[1] فملكها وهى من القلاع فى تلك الاعمال ☆

ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوىّ

فى هذه السنة ثانى ذى القعدة قُتل الآمر باحكام الله ابو علىّ

[1]) C. P. ابرد; Bodl. بهرد.

Digitized by Google

ابن المستعلى العلوىّ صاحب مصر خرج الى متنزّه له فلمّا عاد وثب عليه الباطنيّة فقتلوه لانّه كان سيّى السيرة فى رعيّته وكانت ولايته تسع وعشرين سنة وخمسة اشهر وعمرُه اربع وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدىّ عبيد الله الذى ظهر بسجلماسة وبنا المهديّة بافريقية وهو ايضًا العاشر من الخلفآء العلويّين من اولاد المهدىّ ايضًا ولمّا قُتل لم يكن له ولد بعده فولى بعده ابن عمّه الميمون عبد المجيد بن الامير ابى القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وانّما بويع له لينظر فى الامر نيابة حتّى يكشف عن حمل ان كان للآمر فيكون للخلافة فيه ويكون هو نايبًا عنه ومولد الحافظ بعسقلان لانّ اباه خرج من مصر اليها فى الشدّة فاقام بها فولد ابنه عبد المجيد هناك ولمّا ولى استوزر ابا علىّ احمد بن الافضل بن بدر الجمالىّ واستبدّ بالامر وتغلّب على الحافظ وحجر عليه واودعه فى خزانة ولا يدخل اليه الّا من يريده ابو علىّ وبقى للحافظ له اسم لا معنى تحته ونقل ابو علىّ كلّما فى القصر الى داره من الاموال وغيرها ولم يزل الامر كذلك الى ان قُتل ابو علىّ سنة ستّ وعشرين فاستقامت امور الحافظ وحكم فى دولته وتمكّن من ولايته وبلاده ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهى زوجة السلطان محمود، وفيها قُتل بيمند الفرنجىّ صاحب انطاكية، وفيها توفّى نصير الدين محمود بن مويّد الملك بن نظام الملك فى شعبان ببغداذ ووقع الحريق فى داره بعد وفاته وفى حظاير الحطب والسوق التتنشىّ فذهب من الناس اموال كثيرة، وفيها وزّر الرئيس ابو الذواد المفرّج بن الحسن بن الصوفىّ لصاحب دمشق تاج الملوك، وفيها كان الرصد بالدار السلطانيّة شرقىّ بغداذ تولّاه البديع الاصطرلابىّ ولم يتمّ، وفيها ظهر ببغداذ عقارب طيارة ذوات شوكتين فنال الناس منها خوف شديد واذًى عظيم، وفيها فى ذى الحجّة خرج

Digitized by Google

الملك مسعود بن محمّد من خراسان وكان عند عمّه السلطان سنجر ووصل الى ساوة ووقع الارجاف انّ عَزْمه على مخالفة اخيه السلطان محمود قويّ وانّ عمّه سنجر امره بذلك فاستشعر السلطان محمود وسار عن بغداذ الى همذان فلمّا وصل الى كرمانشاهان وصل اليه اخوه الملك مسعود وخدمه ولم يظهر للارجاف اثر فاقطعه السلطان مدينة كنجة واعمالها وسيّره اليها، وفيها كانت زلزلة عظيمة فى ربيع الاوّل بالعراق وبلد الجبل والموصل والجزيرة فخرّبت كثيرًا، وفيها ملك السلطان محمود قلعة أَلَموت، وفيها توفّى ابراهيم ابن عثمان بن محمّد ابو اسحاق الغَزّىّ من اهل غزّة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة احدى واربعين واربعماية وهو من الشعرآء المجيدين فمن قوله من قصيدة يصف فيها الاتراك

فى فتية من جيوش الترك ما تركت ... للرعد كرّاتهم صوتًا ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملايكةً ... حُسنًا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وله فى الزهد

انّما هذه الحياةُ متاعٌ ... والسفيه الغوىّ مَن يَصْطَفيها
ما مضا فات والمؤمّل غَيْبٌ ... ولك الساعة الّتى انت فيها،

وفيها توفّى الحسين بن محمّد بن عبد الوهّاب بن احمد بن محمّد الدبّاس ابو عبد الله النحوىّ الشاعر المعروف بالبارع اخو ابى الكرم ابن فاخر النحوىّ لامّه ولد سنة ثلاث واربعين واربعماية وله شعر مليح فمنه قوله

ردّى علىّ الكَرَى ثمّ اهجرى سَكَنى ... فقد قنعتُ بطيف منك فى الوسَنِ
لا تحسبى النوم قد اوحشتُ اطلبه ... الّا رجآء خيالٍ منك يُونِسُنى
تركتَنى والهوى فردًا أُغالبُهُ ... ونام ليلك عن همّ يُؤَرّقنى

وهى طويلة، وفيها توفّى هبة الله بن القاسم بن محمّد بن عطا بن محمّد ابو سعد المهوانىّ النيسابورىّ ومولده سنة احدى وثلاثين واربعماية وكان محدّثًا حافظًا صالحًا ۞

Digitized by Google

سنة ٥٢٥ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسماية

ذكر اسر دُبَيْس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكى

فى هذه السنة فى شعبان اسر تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق الاميرَ دبيس بن صدقة صاحب الحلّة وسلّمه الى اتابك الشهيد زنكى بن آقسنقر، وسبب ذلك انّه لمّا فارق البصرة على ما ذكرناه جاءه قاصد من الشام من صرخد يستدعيه اليها لانّ صاحبها كان خصيًّا فتوفّى هذه السنة وخلّف جارية سُرّية له فاستولت على القلعة وما فيها وعلمتْ انّها لا يتمّ لها ذلك الّا بان تتّصل برجل له قوّة ونجدة فوُصف لها دبيس بن صدقة وكثرة عشيرته وذُكر لها حاله وما هو عليه بالعراق فارسلت تدعوه الى صرخد لتزوّج به وتسلّم القلعة وما فيها من مال وغيره اليه، فاخذ الادلّاء معه وسار من ارض العراق الى الشام فضلّ به الادلّاء بنواحى دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقىّ الغوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع اتابك عماد الدين زنكى الخبر وكان دبيس يقع فيه وينال منه فارسل الى تاج الملوك يطلب منه دبيسًا ليسلّمه اليه ويطلق ولَدَهُ ومن معه من الامرآء الماسورين وان امتنع من تسليمه سار الى دمشق وحصرها وخرّبها ونهب بلدها فاجاب تاج الملوك الى ذلك وارسل اتابك سونجَ بن تاج الملوك والامرآء الذين معه وارسل تاج الملوك دبيسًا فايقن دبيس بالهلاك ففعل زنكى معه خلاف ما ظنّ واحسن اليه وحمل له الاقوات والسلاح والدوابّ وساير امتعة الخزاين وقدّمه حتّى على نفسه وفعل معه ما يفعل اكابر الملوك، ولمّا سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق ارسل سديدَ الدولة بن الانبارىّ وابا بكر بن بشر الجزرىّ من جزيرة ابن عمر الى تاج الملوك يطلب منه ان يسلّم دبيسًا اليه لما كان متحقّقًا به من عداوة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الانبارىّ بتسليمه الى عماد الدين وهو فى الطريق فسار الى دمشق ولم يرجع

وذمّ اتابكَ زنكى بدمشق واستخفّ به وبلغ الخبر عماد الدين فارسل الى طريقه من ياخذه اذا عاد فلمّا رجع من دمشق قبضوا عليه وعلى ابن بشر وحملوها اليه فامّا ابن بشر فاهانه وجرى فى حقّه مكروه وامّا ابن الانبارىّ فسجنه، ثم انّ المسترشد بالله شفع فيه فأُطلق ولم يزل دبيس مع زنكى حتّى انحدر معه الى العراق على ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود

فى هذه السنة فى شوّال توفّى السلطان محمود بن السلطان محمّد بهمذان وكان قبل مرضه قد خاف وزيره ابو القاسم الانسابادىّ من جماعة من الامرآء واعيان الدولة منهم عزيز الدين ابو نصر احمد ابن حامد المستوفى والامير انوشتكين المعروف بشبركير وولده عمر وهو امير حاجب السلطان وغيرهم فامّا عزيز الدين فارسله مقبوضًا عليه الى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قُتل بها وامّا شبركير وولده فقُتلا فى جمادى الآخرة، ثم انّ السلطان مرض وتوفّى فى شوّال واقعد ولده الملك داود فى السلطنة باتّفاق من الوزير ابى القاسم واتابكه آقسنقر الاحمديلىّ وخُطب له فى جميع بلاد الجبل واذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وساير بلاد الجبل ثم سكنت فلمّا اطمأنّ الناس وسكنوا سار الوزير باموالها الى الرىّ فامن فيها حيث هى للسلطان سنجر، وكان عمر السلطان محمود لمّا توفّى نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثنتى عشر سنة وتسعة اشهر وعشرين يومًا وكان حليمًا كريمًا عاقلًا يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع فى اموال الرعايا عفيفًا عنها كافًّا لاصحابه عن التطرّف الى شىء منها ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ثار الباطنيّة بتاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحَيْن فبرأ احدهما فتنسّر الاخر وبقى

فيه المه الّا انّه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه، وفيها توفّى الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله اخو المسترشد بالله فى رجب، وفيها فى شوّال توفّى الحسن بن سلمان بن عبد الله ابو علىّ الفقيه الشافعىّ الواعظ مدرّس النظاميّة ببغداذ واصله من الزّوْزان، والخطيب ابو نصر احمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسىّ خطيب الموصل توفّى فى ربيع الاوّل، وحمّاد بن مُسلّم الدبّاس الرحبىّ الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله اصحاب وتلامذة كثيرون[1] ساروا ورايتُ الشيخ ابا الفرج بن الجوزىّ قد ذمّه وثلبه ولهذا الشيخ اسوة بغيره من الصالحين فانّ ابن الجوزىّ قد صنّف كتابًا سمّاه تلبيس ابليس لم يبق فيه على احد من سادة المسلمين وصالحيهم، وهبة الله بن محمّد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانىّ الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين واربعماية سمع ابا علىّ بن المهذّب وابا طالب بن غيلان وغيرهما وهو راوى مسند احمد بن حنبل والغيلانات وغيرها، ومحمّد بن الحسن بن علىّ بن الحسن ابو غالب الماوردىّ ولد سنة خمسين واربعماية بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن ابى داود السجستانىّ وكان صالحًا

سنة ٥٢٩ ثم دخلت سنة ستّ وعشرين وخمسماية،

ذكر قتل ابى علىّ وزير الحافظ ووزارة يانس وموته

فى هذه السنة فى المحرّم قُتل الافضل ابو علىّ بن الافضل بن بدر الجمالىّ وزير الحافظ لدين الله العلوىّ صاحب مصر، وسبب قتله انّه كان قد حجر على الحافظ ومنعه ان يحكم فى شىء من الامور قليل او جليل واخذ ما فى قصر الخلافة الى داره واسقط من الدعاء ذكر اسماعيل الذى هو جدّهم واليه تنسب الاسماعيليّة وهو ابن جعفر بن محمّد الصادق واسقط من الاذان حىّ على خير العمل

---

1) Bodl. وتلاميذ كثير.

Digitized by Google

ولم يخطب للحافظ وامر الخطباء ان يخطبوا له بالقاب كتبها لهم وهي السيّد الافضل الاجلّ، سيّد مماليك ارباب الدول، والحامي عن حوزة الدين وناشر جناح العدل، على المسلمين الاقربين والابعدين ناصر امام الحق في حالتَيْ غيبته وحضوره، والقايم بنصرته بماضي سيفه وصايب رآيه وتدبيره، امين الله على عباده، وهادي القضاة الى اتباع شرع الحقّ واعتماده، ومُرشد دُعاة المومنين بواضح بيانه وارشاده، مولى النعم، ورافع الجور عن الامم، وملك فضيلتَيْ السيف والقلم، ابو علىّ احمد بن السيّد الاجلّ الافضل شاهنشاه امير الجيوش، وكان امامىّ المذهب يكثر ذمّ الآمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويّين ومماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج في العشرين من المحرّم من هذه السنة الى الميدان يلعب بالكرة مع اصحابه فكمن له جماعة منهم مملوك افرنجىّ كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الفرنجىّ عليه فطعنه فقتله وحزّوا راسه وخرج الحافظ من الخزانة التي كان فيها ونهب الناس دار ابن علىّ وأُخذ منها ما لا يحصى وركب الناس والحافظ الى داره فاخذ ما بقي فيها وحمله الى القصر وبويع يوميذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وان يكون كافلًا لحمل ان كان للآمر فلمّا بويع بالخلافة استوزر ابا الفتح يانس الحافظىّ في ذلك اليوم بعينه ولُقّب امير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير الشرّ فخافه الحافظ على نفسه وتخيّل منه يانس فاحتاط ولم ياكل عنده شيئًا ولا شرب فاحتال عليه الحافظ بان وضع له فرّاشه في بيت الطهارة ماء مسمومًا فاغتسل به فوقع الدود في سفله وقيل له متى قمتَ من مكانك هلكتَ فكان يعالج بان يجعل اللحم الطرىّ في المحلّ فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفآء فقيل للحافظ انّه قد صلح وان تحرّك هلك فركب اليه الحافظ كانّه يعوده فقام له ومشا الى بين يدَيْه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفّى من ليلته وكان موته في السادس والعشرين

فيه المه الّا انّه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه، وفيها توفّى الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله اخو المسترشد بالله فى رجب، وفيها فى شوّال توفّى الحسن بن سلمان بن عبد الله ابو علىّ الفقيه الشافعىّ الواعظ مدرّس النظاميّة ببغداذ واصله من الزّوزان، والخطيب ابو نصر احمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسىّ خطيب الموصل توفّى فى ربيع الاوّل، وحمّاد بن مُسلّم الدبّاس الرحبىّ الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله اصحاب وتلامذة كثيرون[1] ساروا ورايتُ الشيخ ابا الفرج بن الجوزىّ قد ذمّه وثلبه ولهذا الشيخ اسوة بغيره من الصالحين فانّ ابن الجوزىّ قد صنّف كتابًا سمّاه تلبيس ابليس لم يبق فيه على احد من سادة المسلمين وصالحيهم، وهبة الله بن محمّد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانىّ الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين واربعماية سمع ابا علىّ بن المهذّب وابا طالب بن غيلان وغيرهما وهو راوى مسند احمد بن حنبل والغيلانات وغيرها، ومحمّد بن الحسن بن علىّ بن الحسن ابو غالب الماوردىّ ولد سنة خمسين واربعماية بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن ابى داود السجستانىّ وكان صالحًا

سنة ٥٢٦ ثمّ دخلت سنة ستّ وعشرين وخمسماية

ذكر قتل ابى علىّ وزير الحافظ ووزارة يانس وموته

فى هذه السنة فى المحرّم قُتل الافضل ابو علىّ بن الافضل بن بدر الجمالىّ وزير الحافظ لدين الله العلوىّ صاحب مصر، وسبب قتله انّه كان قد حجر على الحافظ ومنعه ان يحكم فى شىء من الامور قليل او جليل واخذ ما فى قصر الخلافة الى داره واسقط من الدعاء ذكر اسماعيل الذى هو جدّهم واليه تنسب الاسماعيليّة وهو ابن جعفر بن محمّد الصادق واسقط من الاذان حىّ على خير العمل

---

[1]) Bodl. وتلاميذ كثير.

Digitized by Google

ولم يخطب للحافظ وامر الخطباء ان يخطبوا له بالقاب كتبها لهم وهي السيّد الافضل الاجلّ، سيّد مماليك ارباب الدول، والمحامي عن حوزة الدين وناشر جناح العدل، على المسلمين الاقربين والابعدين ناصر امام الحق في حالتَيْ غيبته وحضوره، والقايم بنصرته بماضي سيفه وصايب رآيه وتدبيره، امين الله على عباده، وهادي القضاة الى اتباع شرع الحقّ واعتماده، ومُرشد دُعاة المومنين بواضح بيانه وارشاده، مولى النعم، ورافع الجور عن الامم، وملك فضيلتَيْ السيف والقلم، ابو علىّ احمد بن السيّد الاجلّ الافضل شاهنشاه امير الجيوش، وكان امامىّ المذهب يكثر ذمّ الآمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويّين ومماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج في العشرين من المحرّم من هذه السنة الى الميدان يلعب بالكرة مع اصحابه فكمن له جماعة منهم مملوك افرنجىّ كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الفرنجىّ عليه فطعنه فقتله وحزّوا راسه وخرج الحافظ من الخزانة لله كان فيها ونهب الناس دار ابى علىّ وأُخذ منها ما لا يحصى وركب الناس والحافظ الى داره فاخذ ما بقى فيها وحمله الى القصر وبويع يومييذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وان يكون كافلًا لحمل ان كان للآمر فلمّا بويع بالخلافة استوزر ابا الفتح يانس الحافظىّ في ذلك اليوم بعينه ولُقّب امير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير الشرّ فخافه الحافظ على نفسه وتخيّل منه يانس فاحتاط ولم ياكل عنده شيئًا ولا شرب فاحتال عليه الحافظ بان وضع له فرّاشه في بيت الطهارة مآء مسمومًا فاغتسل به فوقع الدود في سفله وقيل له متى ثبتّ من مكانك هلكتَ فكان يعالج بان يجعل اللحم الطرىّ في المحلّ فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفآء فقيل للحافظ انّه قد صلح وان تحرّك هلك فركب اليه الحافظ كانّه يعوده فقام له ومشا الى بين يدَيْه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفّى من ليلته وكان موته في السادس والعشرين

من ذى الحجّة من هذه السنة، ولمّا مات يانس استوزر الحافظ ابنه حسنًا وخطب له بولاية العهد وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين، وانّما ذكرتُ القاب ابى على تعجّبًا منها ومن حماقة ذلك الرجل فان وزير صاحب مصر وحدها اذا كان هكذا فينبغى ان يكون وزير السلاطين السلجوقيّة كنظام الملك وغيره يدعون الربوبيّة على انّ تربة مصر هكذا تولد الا ترى الى فرعون يقول انّا ربّكم الاعلى[1] والى اشياء اخر لا نطول بذكرها ☆

ذكر حال السلطان مسعود والملكَيْن سلجوق شاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود

لما توفّى السلطان محمود بن السلطان محمّد وخُطب ببلاد الجبل واذربيجان لولده الملك داود على ما ذكرناه سار الملك داود من همذان فى ذى القعدة من سنة خمس وعشرين الى زنجان فاتاه الخبر انّ عمّه السلطان مسعود قد سار من جرجان ووصل الى تبريز واستولى عليها فسار الملك داود اليه وحصره بها وجرى بينهما قتال الى سلخ المحرّم سنة ستّ وعشرين ثمّ اصطلحا وتاخّر الملك داود مرحلة وخرج السلطان مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وارسل يطلب الخطبة ببغداذ وكانت رسل الملك داود قد تقدّمت فى طلب الخطبة فاجاب المسترشد بالله انّ الحكم فى الخطبة الى السلطان سنجر من اراد خُطب له وارسل الى السلطان سنجر ان لا ياذن لاحد فى الخطبة فانّ الخطبة ينبغى ان تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعًا حسنًا، ثمّ انّ السلطان مسعود كاتب عمادَ الدين زنكى صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوعده النصر فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة، ثمّ انّ الملك سلجوقشاه بن السلطان محمّد سار به اتابكه

---

[1]) Cor. 79, vs. 27.

Digitized by Google

قراجة الساقى صاحب فارس وخوزستان فى عسكر كثير الى بغداذ فوصل اليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل فى دار السلطان واكرمه الخليفة واستخلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ويتهدّد ان منعها فلم يجب الى ما طلبه فسار حتّى نزل عباسيّة[1] الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوق شاه وقراجة الساقى نحو مسعود الى ان يفرغ من حرب اتابك عماد الدين زنكى وسار يوم وليلة الى المعشوق وواقع عماد الدين زنكى فهزمه واسر كثيرًا من اصحابه وسار زنكى منهزمًا الى تكريت فعبر فيها دجلة وكان الدزدار بها حينيذ نجم الدين ايّوب فاقام له المعابر فلمّا عبر امن الطلب وسار الى بلاده لاصلاح حاله وحال رجاله وهذا الفعل من نجم الدين ايّوب كان سببًا لاتّصاله به والمصير فى جملته حتّى آل بهم الامر الى مُلْك مصر والشام وغيرها على ما نذكره، وامّا السلطان مسعود فانّه سار من العباسيّة الى الملكيّة ووقعت الطلايع بعضها على بعض ثم لم تزل المناوشة تجرى بينه وبين اخيه سلجوق شاه يومَيْن وارسل سلجوقشاه الى قراجة يستحثّه على المبادرة فعاد سريعًا وعبر دجلة الى الجانب الشرقىّ فلمّا علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكى رجع الى ورآيه وارسل الى الخليفة يعرّفه وصول السلطان سنجر الى الرىّ وانّه عازم قصد الخليفة وغيره وان رايتم ان نتّفق على قتاله ودَفْعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فانا موافق على ذلك، فاعاد الخليفة الجواب يستوقفه وتردّدت الرسل فى الصُلح فاصطلحوا على ان يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوقشاه ولىّ عهده وتحالفوا على ذلك وعاد السلطان مسعود الى بغداذ فنزل بدار السلطان ونزل سلجوقشاه فى دار الشحنكيّة وكان اجتماعهم فى جمادى الاولى ☆

---

[1]) C. P. sine punctis. Bodl. عساسه.

Digitized by Google

ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمّه السلطان سنجر

لمّا توفّى السلطان محمود سار السلطان سنجر الى بلاد الجبال ومعه الملك طغرل بن السلطان محمّد وكان عنده قد لازمه فوصل الى الرىّ ثم سار منها الى همذان فوصل الخبر الى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله الى همذان فاستقرّت القاعدة بينهما على قتاله وان يكون الخليفة معهم وتجهّز الخليفة فتقدّم قراجة الساقى والسلطان مسعود وسلجوقشاه نحو السلطان سنجر وتاخّر المسترشد بالله عن المسير معهم فارسل الى قراجة والزمه وقال انّ الذى تخاف من سنجر آجلًا انا افعله عاجلًا، فبرز حينيذ وسار على تريّث وتوقّف الى ان بلغ الى خانقين واقام بها، وقُطعت خطبة سنجر من العراق جميعه ووصلت الاخبار بوصول عماد الدين زنكى ودبيس ابن صدقة الى قريب بغداد فامّا دبيس فانّه ذكر انّ السلطان سنجر اقطعه الحلّة وارسل الى المسترشد بالله يضرع ويسأل الرضا عنه فامتنع من اجابته الى ذلك، وامّا عماد الدين زنكى فانّه ذكر انّ السلطان سنجر قد اعطاه شحنكيّة بغداد فعاد المسترشد بالله الى بغداد وامر اهلها بالاستعداد للمدافعة عنها وجنّد اجنادًا جعلهم معهم، ثم انّ السلطان مسعود وصل الى دامرج فلقيهم طلايع السلطان سنجر فى خلق كثير فتاخّر السلطان مسعود الى كرمانشاهان ونزل السلطان سنجر فى اسداباذ فى ماية الف فارس فسار مسعود واخوه سلجوقى شاه الى جبلَيْن يقال لهما كاو وماهى فنزلا بينهما ونزل السلطان سنجر كَنْكَور فلمّا سمع باحرافهم اسرع فى طلبهم فرجعوا الى ورآيهم مسيرة اربعة ايّام فى يوم وليلة فالتقى العسكران بعولان عند الدينور وكان مسعود يدافع الحرب انتظارًا لقدوم المسترشد فلمّا نازله السلطان سنجر لم يجدْ بدًّا من المصاف وجعل سنجر على ميمينته طغرل ابن اخيه محمّد وتاج وامير اميران وعلى ميسرته خوارزمشاه اتسز بن محمّد مع جمع من الامرآء وجعل مسعود على

Digitized by Google

ميمنته قراجة الساقى والامير قزل وعلى ميسرته برنقش بازدار ويوسف جاووش وغيرهما وكان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام ووقعت الحرب وقامت على ساق وكان يومًا مشهودًا فحمل قراجة الساقى على القلب وفيه السلطان سنجر فى عشرة الاف فارس من شجعان العسكر وبين يديه الفيلة فلمّا حمل قراجة على القلب رجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى ورآء ظهره فصار قراجة فى الوسط فقاتل الى ان جُرح عدّة جراحات وقُتل كثير من اصحابه وأُخذ هو اسيرًا وبه جراحات كثيرة فلمّا راى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة وقُتل يوسف جاووش وحسين ازبك وهما من اكابر الامرآء وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلمّا تمّت الهزيمة على مسعود نزل سنجر واحضر قراجة فلمّا حضر قراجة سبّه وقال له يا مفسد اىّ شىء كنتَ ترجوا بقتالى، قال كنتُ ارجوا ان اقتلك واقيم سلطانًا احكم عليه، فقتله صبرًا وارسل الى السلطان مسعود يستدعيه فحضر عنده وكان قد بلغ خُونج فلمّا رآه قبّله واكرمه وعاتبه على العصيان عليه ومخالفته واعاده الى كنجة واجلس الملك طغرل بن اخيه محمّد فى السلطنة وخطب له فى جميع البلاد وجعل فى وزارته ابا القاسم الانسابادىّ وزير السلطان محمود وعاد الى خراسان فوصل الى نيسابور فى العشرين من رمضان سنة ستّ وعشرين، واما المسترشد بالله فكان منه ما نذكره ۞

ذكر مسير عماد الدين زنكى الى بغداذ وانهزامه

لمّا سار المسترشد بالله من بغداذ وبلغه انهزام السلطان مسعود عزم على العود الى بغداذ فاتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكى الى بغداذ ومعه دبيس بن صدقة وكان السلطان سنجر قد كاتبهما وامرهما بقصد العراق والاستيلآء عليه فلمّا علم الخليفة بذلك اسرع العود اليها وعبر الى الجانب الغربىّ وسار فنزل بالعبّاسيّة ونزل عماد الدين بالمنارية من دُجَيْل والتقيا بحصن البرامكة سابع عشرين

Digitized by Google

رجب فابتدا زنكى فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزموا منه وحمل نظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتدّ القتال فانهزم دبيس واراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرّقوا عنه فانهزم ايضًا وقُتل من العسكر جماعة وأُسر جماعة وبات الخليفة هناك ليلته وعاد من الغد الى بغداذ ❁

ذكر حال دُبَيْس بعد الهزيمة

وفيها عاد دبيس بعد انهزامه المذكور يلوذ ببلاد الحلّة وتلك النواحى وجمع جمعًا وكانت تلك الولاية بيد اقبال المسترشدىّ فأُمدّ بعسكر من بغداذ فالتقى هو ودبيس فانهزم دبيس واختفى فى اجمة هناك وبقى ثلاثة ايّام لم يطعم شيئًا ولم يقدر على التخلّص منها حتّى اخرجه حمّاس[1] على ظهره ثم جمع جمعًا وقصد واسط وانضمّ اليه عسكرها وبختيار وشاق وابن ابى الجبر ولم يزل فيها الى ان دخلت سنة سبع وعشرين فنفذ اليهم يرنقش بازدار واقبال الخادم المسترشدىّ فى عسكر فاقتتلوا فى المآء والبرّ فانهزم الواسطيّون ودبيس وأُسر بختيار وشاق وغيره من الامرآء

ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق

فى هذه السنة فى رجب توفّى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق وسبب موته انّ الجرح الذى كان به من الباطنيّة وقد ذكرناه اشتدّ عليه الآن واضعفه واسقط قوّته فتوفّى فى الحادى والعشرين من رجب ووصّى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسماعيل ووصّى بمدينة بعلبك واعمالها لولده شمس الدولة محمّد، وكان بورى كثير الجهاد شجاعًا مقدامًا سدّ مسدّ ابيه وفاق عليه وكان ممدحًا اكثر الشعرآء مدايحه لا سيّما ابن الخيّاط وملك بعده

---

[1]) Bodl. C. P. جماس.

ابنه شمس الملوك وقام بتدبير الامر بين يدَيْه للحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق وهو حاجب ابيه واعتمد عليه وابتدا امره بالرفق بالرعيّة والاحسان اليهم فكثر الدعآء له والقصاد عليه ✿

ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره بعلبك

فى هذه السنة ملك شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن راس وسبب ذلك انّهما كانا لابيه تاج الملوك وفى كلّ واحد منهما مستحفظ يحفظها فلمّا ملك شمس الملوك بلغه انّ اخاه شمس الدولة محمّد صاحب بعلبك قد راسلهما واستمالهما اليه فسلّما الحصنَيْن اليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك اثر بل راسل اخاه بلطف يقبّح هذه الحال ويطلب ان يعيدهما اليه فلم يفعل فاغضى على ذلك وتجهّز من غير ان يُعلم احدًا وسار هو وعسكره آخر ذى القعدة فطلب جهة الشمال ثمّ عاد مغربًا فلم يشعر من بحصن اللبوة الّا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكّنوا لنصب مناجنيق ولا غيره فطلبوا الامان فبذله لهم وتسلّم الحصن من يومه وسار من آخر النهار الى حصن راس فبغتهم وجرى الامر فيه على تلك القضيّة وتسلّمه وجعل فيهما من يحفظها ثمّ رحل الى بعلبك وحصرها وفيها اخوه شمس الدولة محمّد وقد استعدّ وجمع فى الحصن ما يحتاج اليه من رجال وذخاير فحصرهم شمس الملوك وزحف فى الفارس والراجل وقاتله اهل البلد على السور ثمّ زحف عدّة مرّات فملك البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وبقى الحصن فقاتله وفيه اخوه ونصب المناجيق ولازم القتال فلمّا راى اخوه شمس الدولة شدّة الامر ارسل يبذل الطاعة ويسال ان يقرّ على ما بيده وجعله ابوه باسمه فاجابه الى مطلوبه واقرّ عليه بعلبك واعمالها وتحالفوا وعاد شمس الملوك الى دمشق وقد استقامت له الامور ✿

Digitized by Google

ذكر الحرب بين السلطان طُغرل والملك داود

فى هذه السنة فى رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن اخيه الملك داود بن محمود وكان سببها انّ السلطان سنجر اجلس الملك طغرل فى السلطنة كما ذكرناه وعاد الى خراسان لانّه بلغه انّ صاحب ما وراء النهر احمد خان قد عصا عليه فبادر الى العود لتلافى ذلك الخرق فلمّا عاد الى خراسان عصا الملك داود على عمّه طغرل وخالفه وجمع العساكر باذربيجان وبلاد كنجة وسار الى همذان فنزل مستهلّ رمضان عند قرية يقال لها وهان بقرب همذان وخرج[1] اليه طغرل وعبّا كلّ واحد منه اصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل ابن بُرسق وعلى ميسرته قزل وعلى مقدّمته قراسُنقر وكان على ميمنة داود يرنقش الزكوىّ ولم يقاتل فلمّا رأى التركمان ذلك نهبوا خيمه وبركه جميعه ووقع الخلف فى عسكر داود فلمّا رأى اتابكه آقسنقر الاحمديلىّ ذلك ولّى هاربًا وتبعه الناس فى الهزيمة وقبض طغرل على يرنقش الزكوىّ وعلى جماعة من الامرآء، واما الملك داود فانّه لمّا انهزم بقى متحيّرًا الى اوايل ذى القعدة فقدم بغداذ ومعه آتابكه اقسنقر الاحمديلىّ فاكرمه الخليفة وانزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلمّا سمع انهزام الملك داود توجّه نحو بغداذ على ما نذكره ان شآء الله تعالى ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين علىّ ابن طِراد الزينبىّ واستوزر انوشروان بن خالد بعد ان امتنع وسأل الاقالة، فى هذه السنة قُتل احمد بن حامد بن محمّد ابو نصر مستوفى السلطان محمود الملقّب بالعزيز بقلعة تكريت وقد تقدّم سبب ذلك سنة خمس وعشرين، وفى المحرّم منها قُتل محمّد بن

---

[1]) Bodl.

Digitized by Google

محمّد بن الحسين ابو الحسين بن ابى يعلى بن الفرّا الحنبلىّ مولده في شعبان في سنة احدى وخمسين واربعماية وسمع الحديث من الخطيب ابى بكر وابن الحسين بن المهتدى وغيرهما وتفقّه قتله اصحابه غيلةً واخذوا ما له، وفى جمادى الاولى توفّى احمد بن عبيد الله بن كادش ابو العزّ العكبرىّ وكان محدّثًا مكثرًا، وتوفّى فيها ابو الفضل عبد الله بن المظفّر بن رئيس الروسآء وكان اديبًا وله شعر حسن فمنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير

أمولانا جلال الدين يا من ... اذكّره بخدمتى القديمه
ألم تك قد عزمتَ على اصطناعى ... فما ذا صدّ عن تلك العزيمه ؟

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسماية، سنة ٥٢٧

ذكر ملك شمس الملوك بانياس

فى هذه السنة فى صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج، وسبب ذلك انّ الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التى بينهم فتعرّضوا الى اموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت واخذوها فشكى التجار الى شمس الملوك فراسل فى اعادة ما اخذوه وكرّر القول فيه فلم يردّوا شيئًا فحمله الانفة من هذه الحالة والغيظ على ان جمع عسكره وتاهّب ولا يعلم احد اين يريد ثم سار وسبق خبرُه اواخر المحرّم من هذه السنة ونزل على بانياس اوّل صفر وقاتله لساعته وزحف اليه زحفًا متتابعًا وكانوا غير متاهّبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجّل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوةً والتجا من كان من جند الفرنج الى الحصن وتحصّنوا به فقتل من البلد كثير من الفرنج واسر كثيرًا ونُهبت الاموال وقاتل القلعة قتالًا شديدًا ليلًا ونهارًا فملكها رابع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها سادسه واما الفرنج فانّهم

لمّا سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرًا يسيرون به اليه فاتاهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه ✿

ذكر حرب بين المسلمين والفرنج

فى هذه السنة فى صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدّس فى خيّالته ورجّالته الى اطراف اعمال حلب فتوجّه اليه الامير اسوار النايب بحلب فى مَن عنده من العسكر وانضاف اليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطايفتَيْن جماعة كثيرة وانهزم المسلمون الى حلب وتردّد ملك الفرنج فى اعمال حلب فعاد اسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طايفة منهم فاوقع بهم واكثر القتل فيهم والاسر فعاد من سلم منهزمًا الى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل اسوار حلب ومعه الاسرى ورؤس القتلى وكان يومًا مشهودًا، ثم انّ طايفة من الفرنج من الرها قصدوا اعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم اسوار فخرج اليهم هو والامير حسّان البعلبكّى فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم فى بلد الشمال واسروا من لم يُقْتَل ورجعوا الى حلب سالمين ✿

ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل

قد تقدّم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمّه السلطان سنجر وعوده الى كنجة وولاية الملك طغرل السلطنة وانّه تحارب هو والملك داود بن اخيه محمود وانهزام داود ودخوله بغداذ فلمّا بلغ السلطانَ مسعود انهزام داود وقصده بغداذ سار هو الى بغداذ ايضًا فلمّا قاربها لقيه داود وترجّل له وخدمه ودخلا بغداذ ونزل مسعود بدار السلطنة فى صفر من هذه السنة وخاطب فى الخطبة له فأُجيب الى ذلك وخُطب له ولداود بعده وخُلع عليهما ودخلا الى الخليفة فاكرمهما ووقع الاتّفاق على مسير مسعود وداود الى اذربيجان وان يرسل الخليفة معهما عسكرًا فساروا فلمّا وصلوا الى مراغة حمل آقسنقر الاحمديلىّ مالًا كثيرًا واقامة عظيمة وملك مسعود ساير بلاد اذربيجان

وانهزم مَن بها من الامرآء مثل قراسنقر وغيره من بين يدَيْه وتحصّن منه كثير منهم بمدينة اردبيل فقصدهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون ، ثم سار بعد ذلك الى هذان لمحاربة اخيه الملك طغرل فلمّا سمع طغرل بقربه برز الى لقآيه فاقتتلوا الى الظُهر ثم انهزم طغرل وقصد الرىّ واستولى السلطان مسعود على هذان فى شعبان ولمّا استقرّ مسعود بهمذان قُتل آقسنقر الاحمديلىّ قتله الباطنيّة فقيل انّ السلطان مسعود وضع عليه مَن قتله ، ثم انّ طغرل لمّا بلغ قمّ عاد الى اصبهان ودخلها واراد التحصّن بها فسار اليه اخوه مسعود لمحاصره بها فرآى طغرل انّ اهل اصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم الى بلاد فارس واستولى مسعود على اصبهان وفرح اهلُها به وسار من اصبهان نحو فارس يقتصّ اثر اخيه طغرل فوصل الى موضع بقرب البيضآء فاستامن اليه امير من امرآء اخيه معه اربعماية فارس فآمنه فخاف طغرل من عسكره ان ينحازوا الى اخيه فانهزم من بين يدَيْه وقصد الرىّ فى رمضان وقتل وزيره ابا القاسم الانساباذىّ فى الطريق وفى شوّال قتله غلمان الامير شيركير الذى سعى فى قتله كما تقدّم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له ذكراور[1] فوقع بينهما المصافّ هناك فلمّا اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره فى ارض قد نضب عنها المآء وهى وحل فاسر منهم جماعة من الامرآء منهم الحاجب تنكز[2] وابن بغرا فاطلقهم السلطان مسعود ولم يُقْتَلْ فى هذا المصافّ الّا نفر يسير ورجع السلطان مسعود الى هذان ☆

[1]) Bodl. دكرار. [2]) Ex marg. In textu: تنكش.

تمّ المجلد العاشر

Digitized by Google

CORRIGENDA.

Pag. ۴, vers. 11: وكان داود خيّرًا
» ۷, » 5: يحصر عنده
» ۱۲, » 5: انكشفت
» ۱۵, » 21: بهم الاذى
» ۵۴, » 20: فدفعها
» ۵۸, » 8: فيهما
» ۵۹, » 20: اما
» ۶۵, » 20: لاعرض
» ۷۰, » 1 et 2: del.: 1 et *
» — » 20: وحصروهم
» — » 25 del.: [1]) Om. C. P.
» ۷۷, » 2: فمن لى
» ۷۸, » 18: سدّ
» ۸۴, » 16: كمال الملك
» ۹۷, not. [2]): A. عطيّة
» ۱۰۳, not. [2]): Om. A.
» ۱۱۳, vers. 6: يخاف
» ۱۱۵, » 23: اخاك

Pag. ۱۲۰, vers. 19: ومُغْتبقًا
» ۱۲۳, » 19: واسلم
» ۱۴۵, » 2: يحاسب
» ۱۴۹, » 19: لتاج الملك
» ۱۵۳, » 18: اردشير بن
» ۱۵۹, » 22: غلّة
» ۱۷۴, » 24: حجّت
» — not. [3]): add.
» ۱۹۳, vers. 11: ونصبوا
» ۱۹۳bis » 7: الصغار
» ۱۹۷, » 7: مويّد
» ۲۰۵, » 9: زوجته
» ۲۲۰, » 17: الدخول
» ۲۲۳, » 12: انى نصر
» ۲۳۴, » 5: تكلّموا
» ۲۳۶, » 18: فاجتمعوا
» ۲۴۱, » 15: صاغُوبك
» ۲۵۰, » 4: بيازور

Digitized by Google

Pag. ٣٦٢, vers. 1: المداراة

» ٣٦٩, » 10: يساره

» ٣٦٧, » 21 del. *

» ٢٧٩, » 23: الاحتراز

» ٢٨٥, » 22: ونهبهم

» ٢٩١, » 5: الديون

» ٣٠٤, » 18: لمّا [2]

» — » 22: ومكّنه [3]

» — Not. [1]) B. كلما. [2]) Om. C. P. [3]) Om. B.

» ٣١٠, vers. 9: ستّا

» — » 13: ثلاثًا

» ٣٢٠, not. [2]) C. P.

» ٣٢٤, vers. 20: وامره

» ٣٢٨, » 7: ولأنْ ياخذه (De Goeje).

» ٣٤٤ » 21: عساكره

» ٣٤٩, » 19: وطغتكين اتابك

» ٣٥١, » 21: لتطبعه

» ٣٥٣, » 2: وحصر قرجان

» ٣٦٨, » 12: سبعًا وثلاثين

» — » 15: السلطنة

» ٣٦٩, » 18: ستّا

Pag. ٣٧٢, vers. 17: ياروقتاش

» ٣٧٩, » 10: ثلاثًا

» ٣٨٥, » 24: واخذ ماله

» ٣٩٤, » 7: الى شاحنكية

» ٣٩٥, » 23: الطغرآئيّ

» ٤٠٥, » 4: النهار

» ٤١٩, » 8: وهى

» ٤٢٨, » 6: وتقويته

» — » 13: ان لا

» — » 21: منطقة حديد صَينيّ (De Goeje).

» ٤٣٢, » 24: الفرنج

» ٤٣٣, » 3: وسبب

» ٤٤١, » ult. هو

» ٤٤٢, » 17: والنهار

» ٤٥٢, » 22: استعفى منها

» ٤٥٤, » 1: فوافقهما

» ٤٦٥, » 3: مع شرف النسب (De Goeje).

» ٤٦٩, » 18: الكرم المبارك

» ٤٧٠, » 22: مع اكابر

» ٤٧٧, » ult. وعشرين

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

كتاب

كامل التواريخ

تاليف الشيخ العلّامة عزّ الدين ابى الحسن علىّ ابى الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانىّ المعروف

بابن الاثير

الجزو الثانى عشر

طبع فى مدينة اوبسالة المحروسة بالمطبع المدرسىّ
سنة ١٨٥٣ المسيحية

Digitized by Google

Digitized by Google

كتاب

كامل التواريخ

Digitized by Google

بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر خيرًا

ذكر حصر صلاح الدين كوكب

سنة ٥٨٤

في هذه السنة في المحرّم انحسر الشتآء فسار صلاح الدين من عكّا فيمن تخلّف عنده من العسكر الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها ظنًّا منه انّ مُلكها سهلًا وانّ اخذها [عجلًا] وهو في قلّة من العسكر متيسّر فلمّا رءاها عالية منيفة والوصول اليها متعذّر وكان عنده منها ومن صفد والكرك المقيم المقعد لانّ البلاد الساحليّة من عكّا الى جهة الجنوب كانت قد ملك جميعها ما عدا هذه الحصون وكان يختار ان لا يبقى في وسطها ما يُشغل قلبه ويقسّم همّه ويحتاج الى حفظه وليلًا ينال الرعايا والمجتازين منهم الضرر العظيم فلمّا حصر كوكب ورءاها منيعة يبطى مُلكها واخذها رحل عنها وجعل عليها قايماز النجمىّ مستديمًا لحصاره وكان رحيله عنها في ربيع الاوّل واتاه رسل الملك قلج ارسلان وقزل ارسلان وغيرهما يهنّونه بالفتح والظفر وسار من كوكب الى دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب الى البلاد جميعًا باجتماع العساكر بها واقام بها الى ان سار الى الساحل بالبلاد الشاميّة ۞

ذكر رحيل صلاح الدين الى بلد الفرنج

لمّا اراد صلاح الدين المسير عن دمشق حضر عنده القاضى الفاضل مودّعًا له ومستشيرًا وكان مريضًا وودّعه وسار عن دمشق منتصف ربيع الاوّل الى حمص فنزل على بحيرة قدس غربىّ حمص وجآءته العساكر فاوّل مَن اتاه من اصحاب الاطراف عماد الدين زنكى بن مودود بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور وتلاحقت العساكر من الموصل

BAYERISCHE STAATS-BIBLIOTHEK MUENCHEN

Digitized by Google

ودیار الجزیرة وغیرها فاجتمعت علیه وکثرت عنده فسار حتّی نزل تحت حصن الاکراد من الجانب الشرقیّ وکنتُ معه حینئذ فاقام یومَیْن وسار جریدة وترک انتقال العسکر موضعها تحت الحصن ودخل الی بلد الفرنج فاغار علی صافیثا والعریمة وبحمور وغیرها من البلاد والولایات ووصل الی قریب طرابلس وابصر البلاد وعرف من این یاتیها واین یسلک منها ثمّ عاد الی معسکره سالمًا وقد غنم العسکر من الدوابّ علی اختلاف انواعها ما لا حدّ علیه واقام تحت حصن الاکراد الی اخر ربیع الاخر ☆

ذکر فتح جَبَلة

لمّا اقام صلاح الدین تحت حصن الاکراد اتاه قاضی جبلة وهو منصور بن نبیل یستدعیه الیه لیسلّمها الیه وکان هذا القاضی عند بیمند صاحب انطاکیة وجبلة مسموع الکلمة له الحرمة الوافرة والمنزلة العالیة وهو یحکم علی جمیع المسلمین بجبلة ونواحیها علی ما یتعلّق بالبیمند فحملته الغیرة للدین علی قصد السلطان وتکفّل له بفتح جبلة واللاذقیة والبلاد الشمالیّة فسار صلاح الدین معه رابع جمادی الاولی فنزل بانطرطوس سادسه فرای الفرنج قد اخلوا المدینة واحتموا فی برجیْن حصینیْن کلّ واحد منهما قلعة حصینة ومعقل منیع فخرّب المسلمون دورهم ومساکنهم وسور البلد ونهبوا ما وجدوه من ذخایرهم وکان الداویّة باحد البرجیْن فحصرهما صلاح الدین فنزل الیه مَن فی احد البرجیْن بامان وسلّموه فامّنهم وخرّب البرج والقی حجارته فی البحر وبقی الذی فیه الداویّة لم یسلّموه وکان معهم مقدّمهم الذی اسره صلاح الدین یومَ المصاف وکان قد اطلقه لمّا ملک البیت المقدّس فهو الذی حفظ هذا الحصن فخرّب صلاح الدین ولایة انطرطوس ورحل عنها والی مرقیة وقد اخلاها اهلها ورحلوا عنها وساروا الی المرقب وهی من حصونهم التی لا ترام ولا تحدث احدا نفسه بملکه لعلوّه وامتناعه وهو للاستبتار والطریق تحته فیکون الحصن علی یمین المجتاز الی جبلة والبحر عن یساره والطریق مضیق لا یسلکه الّا الواحد بَعد الواحد فاتّفق انّ صاحب صقلیّة من الفرنج قد سیّر نجدة الی فرنج الساحل

فى ستّين قطعة من الشوانى وكانوا بطرابلس فلمّا سمعوا بمسير صلاح الدين جآوا ووقفوا فى البحر تحت المرقب فى شوانيهم ليمنعوا مَن يجتاز بالسهام فلمّا راى صلاح الدين ذلك امر بالطارقيات والجفتيات فصُفّتْ على الطريق ممّا يلى البحر من اوّل المضيق الى اخره وجعل ورآءها الرماة فمنعوا الفرنج من الدنوّ اليهم فاجتاز المسلمون عن اخرهم حتّى عبروا المضيق ووصلوا الى جبلة ثامن عشر جمادى الاولى وتسلّمها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلمّا وصل صلاح الدين رفع اعلامه على سورها وسلّمها اليه وتحصّن الفرنج الذين كانوا بها تحصّنًا واحتموا بقلعتها فما زال قاضى جبلة يخوّفهم ويرغّبهم حتّى استنزلهم بشرط الامان وان ياخذ رهاينهم يكونون عنده الى ان يطلق الفرنج رهاينهم من المسلمين من اهل جبلة وكان بيمند صاحبها قد اخذ رهاين القاضى ومسلمين جبلة وتركهم عنده بانطاكية فاخذ القاضى رهاين الفرنج وجآء روسآء اهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة اهله وهو من امنع الجبال واشقّها مسلكًا وفيه حصن يعرف ببكسرايل بين جبلة ومدينة حماة فملكه المسلمون وصار الطريق فى هذا الوقت عليه من بلاد الاسلام الى العسكر وكان الناس يلقون شدّة فى سلوكه وقرّر صلاح الدين احوال جبلة وجعل فيها لحفظها الاميرَ سابق الدين عثمان بن الدايه صاحب شيزر وسار عنها ☆

ذكر فتح لاذقيّة

لمّا فرغ السلطان من امر جبلة وسار عنها الى لاذقيّة فوصل اليها فى الرابع والعشرين من جمادى الاولى فترك الفرنج المدينة لعجزهم عن حفظها وصعدوا الى حصنيْن لها على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحصروا القلعتيْن اللتيْن فيهما الفرنج وزحفوا اليهما ونقبوا الاسوار ستّين ذراعًا وعلّقوه وعظم القتال واشتدّ الامر عند الوصول الى السور فلمّا ايقن الفرنج بالعطب ودخل اليهم قاضى جبلة فخوّفهم من المسلمين فطلبوا الامان فامّنهم صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلاميّة الى الحصنيْن وكان ذلك فى اليوم الثالث من النزول عليها وكانت عمارة اللاذقيّة من احسن الابنية واكثرها زخرفة مملوّة بالرخام على اختلاف

انواعه فخرّب المسلمون كثيرًا منها ونقلوا رخامها وشعّثوا كثيرًا من بيعها التى قد غرم على كلّ واحدة منها الاموال الجليلة المقدار وسلّمها الى ابن اخيه تقى الدين عمر فعمّرها وحصّن قلعتها حتّى اذا رءاها اليوم مَن رءاها ينكرها فلا يظنّ انّ هذه تلك وكان عظيم الهمّة فى تحصين القلاع والغرامة الوافرة عليها كما فعل بقلعة حماة ☆

ذكر حال اسطول صقليّة

لمّا نازل صلاح الدين لاذقيّة [وصل اسطول صقليّة] الذى تقدّم ذكره فوقف بازآء مينا لاذقيّة فلمّا سلّمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم اهل هذا الاسطول على اخذ مَن يخرج منها من اهلها غيظًا وحنقًا حيث سلّموها سريعًا فسمع بذلك اهل لاذقيّة فاقاموا وبذلوا الجزية وكان سبب مقامهم ثمّ انّ مقدّم هذا الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فامّنه وحضر [وقبل] الارض بين يديه وقال ما معناه انّك سلطان رحيم كريم وقد فعلتَ بالفرنج ما فعلتَ فذلّوا فاتركهم يكونون مماليكك وجندك تفتتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والّا جآءك من البحر ما لا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتدّ الحال فاجابهم صلاح الدين بنحو من كلامه من اظهار القوّة والاستهانة بكلّ مَن يجئ من البحر وانّهم ان خرجوا اذاقهم ما اذاق اصحابهم من القتل والاسر فصلّب على وجهه ورجع الى اصحابه ☆

ذكر فتح صهيون وعدّة من الحصون

ثمّ رحل صلاح الدين عن لاذقيّة فى السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهى قلعة منيعة شاهقة فى الهوآء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها وادٍ عميقٌ فيه ضيق فى بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الّا انّ الجبل متّصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقًا عميقًا لا يرى قعْرُه وخمسة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونُصبت عليه المنجنيقات ورماها وتقدّم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادى ونصب عليه المنجنيقات ايضًا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيّين كثير وهم فى الشجاعة بالمنزلة

المشهورة ودام رشق السهام من قسىّ اليد والجرخ والزنبورك والزيار فجرح اكثر مَن بالحصن وهم يُظهرون التجلّد والامتناع وزحف المسلمون اليهم ثانى جمادى الاخرة فتعلّقوا بقرنة من ذلك الجبل. قد اغفل الفرنج احكامها فتسلّقوا منها بين الصخور حتّى التحقوا بالسور الاوّل فملكوا منها ثلاثة وغنموا ما فيها من ابقار ودوابّ وذخاير وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقلّة التى للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه فقرّروا على انفسهم مثل قطيعة البيت المقدّس وتسلّم الحصن وسلّمه الى امير يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة ابى قُبيس فحصّنه وجعله من احصن الحصون ولمّا ملك المسلمون صهيون تفرّقوا فى تلك النواحى فملكوا حصن بلاطنوس كان مَن به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفًا ورعبًا وملك ايضًا حصن العبدو[1] وحصن الجاهرتين فاتّسقت المملكة الاسلاميّة بتلك الناحية الّا انّ الطريق اليها من البلاد الاسلاميّة على عقبة بكسرائيل شاقّ شديد لانّ الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لانّ بعضها بيد الاسماعيليّة وبعضها بيد الفرنج ☆

ذكر فتح حصن بكاس والشُغر

ثمّ سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الاخرة فوصل الى قلعة بكاس [فراى الفرنج قد اخلوها وتحصّنوا بقلعة الشغر فملك قلعة بكاس][2] بغير قتال وتقدّم الى قلعة الشغر وهى وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى لاذقيّة وجبلة والبلاد التى افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلاميّة فلمّا نازلها رءاها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الّا انّه امر بمزاحفتهم ونصب مناجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمناجنيق فلم يصل من احجاره الى القلعة شئ الّا القليل الذى لا يُوذى فبقى المسلمون عليه ايّامًا لا يرون فيه طمعًا واهله غير مهتمّين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرّق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم فى ذكر القلعة

---

[1]) العبدو: 740 العدو C. P.: [2]) C. P.

واعمال الحيلة فى الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فَمَا ٱسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا[1] فقال صلاح الدين او ياتى الله بنصر من عنده وفتح فبينما هم فى هذا الحديث واذ قد اشرف عليهم فرنجىٌّ ونادى بطلب الامان لرسول يحصر عند صلاح الدين فاجيب الى ذلك ونزل رسول وسال انتظارهم ثلاثة ايّام فان جآءهم من يمنعهم والّا سلّموا القلعة بما فيه من ذخاير ودوابّ وغير ذلك فاجابهم اليه واخذ رهاينهم على الوفآء به فلمّا كان اليوم الثالث سلّموها اليه واتّفق يوم الجمعة سادس عشر جمادى الاخرة، وكان سبب استمهالهم انّهم ارسلوا الى البيمند صاحب انطاكيّة وكان هذا الحصن له يعرّفونه انّهم محصورون ويطلبون منه ان يرحّل عنهم المسلمين فان فعل والّا سلّموها وانّما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى فى قلوبهم والّا فلو اقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم احد ولا بلغ المسلمون منه غرضًا، فلمّا تسلّم صلاح الدين الحصن سلّمه الى امير يقال له قلج وامره بعمارته ورحل عنه ☆

ذكر فتح سرمينيّة

لمّا كان صلاح الدين مشغولاً بهذه القلاع والحصون سيّر ولده الظاهر غازى صاحب حلب فحصر سرمينيّة وضيّق على اهله واستنزلهم على قطيعة قرّرها عليهم فلمّا انزلهم واخذ منهم المقاطعة هدم الحصن وعفى اثره وعالى[2] بنيانه وكان فيه وفى هذه الحصون من اسارى المسلمين الجمّ الغفير فاطلقوا وأُعطوا كسوة ونفقة وكان فتحه فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الاخرة واتّفق انّ فتح هذه المدن والحصون جميعها من جبلة الى سرمينيّة مع كثرتها كان فى ستّ جُمع مع انّها فى ايدى اشجع الناس واشدّهم عداوةً للمسلمين فسبحان مَن اذا اراد ان يسهل الصعب فعل وهى جميعها من اعمال انطاكيّة ولم يبق لها سوى القُصير وبغراس ودرب ساك وسياتى ذكرها ان شآء الله تعالى فى مكانه ☆

ذكر فتح برزية

لمّا رحل صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية وكانت قد وُصفتْ له وهى تقابل حصن افامية وتناصفها فى اعمالها وبينهما

[1]) Cor. 18, 96.

[2]) C. P. et 740; at in C. P. deest: اثره Ups.: وعلى لى

بحيرة تجتمع من مآء العاصى وعيون تتفجّر من جبل برزية وغيره وكان اهلها اضرّ شئ على المسلمين يقطعون الطريق ويبالغون فى الاذى فلمّا وصل اليها نزل شرقيّها فى الرابع والعشرين من جمادى الاخرة ثمّ ركب من الغد وطاف عليها لينظر موضعًا يقاتلها منه فلم يجده الّا من جهة الغرب فنصب له هناك [خيمة][1] صغيرة ونزل فيها ومعه بعض العسكر جريدة لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن ان تقاتل من جهة الشمال والجنوب البتّة فانّها لا يقدر احد يصعد جبلها من هاتين الجهتين وامّا الجانب الشرقىّ فيمكن الصعود منه لكن لغير مقاتل لعلوّه وصعوبته وامّا جهة الغرب فانّ الوادى المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعًا كثيرًا حتّى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهام فنزله المسلمون ونصبوا عليه المنجنيقات ونصب اهل القلعة عليها منجنيقًا بظّلها ورايتُ انا من راس جبل عالٍ يشرف على القلعة لكنّه لا يصل منه شئ اليها امراة ترمى من القلعة عن المنجنيق وهى التى بظّلت منجنيق المسلمين فلمّا راى صلاح الدين انّ المنجنيق لا ينتفعون به عزم على الزحف ومكاثرة اهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة اقسام يزحف قسم فاذا تعبوا وكلّوا عادوا وزحف القسم الثانى فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم الثالث ثمّ يدور الدور مرّة بعد اخرى حتّى يتعب الفرنج وينصبوا فانّهم لم يكن عندهم من الكثرة ما يتقسّمون كذلك فاذا تعبوا واعيوا سلّموا القلعة ، فلمّا كان الغد وهو السابع والعشرون من جمادى الاخرة تقدّم احد الاقسام وكان المقدّم عليهم عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى صاحب سنجار وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلهم على فصيلهم ورماهم المسلمون بالسهام من ورآء الجفتيات والجنويّات والطارقيات ومشوا اليهم حتّى قربوا الى الجبل فلمّا قاربوا الفرنج عجزوا عن الدنوّ منهم لخشونة المرتقى وتسلّط الفرنج عليهم لعلوّ مكانهم بالنشاب والحجارة فانّهم كانوا يُلقون الحجارة الكبار فتدحرج الى اسفل الجبل فلا يقوم لها شئ فلمّا تعب هذا القسم

---

[1]) C. P. et 740.

انحدروا وصعد القسم الثانى وكانوا جلوسًا ينتظرونهم وهم حلقة صلاح الدين الخاصّ فقاتلوا قتالاً شديدًا وكان الزمان حرًّا شديدًا فاشتدّ الكرب على الناس وصلاح الدين فى سلاحه يطوف عليهم ويحرّضهم وكان تقى الدين ابن اخيه كذلك فقاتلوهم الى قريب الظهر ثمّ تعبوا ورجعوا فلمّا رءاهم صلاح الدين قد عادوا تقدّم اليهم وبيده جماق يهدّهم وصاح فى القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا مُلبّين وساعدوا اخوانهم وزحفوا معهم فجآء الفرنج ما لا قبل لهم به وكان اصحاب عماد الدين قد استراحوا فقاموا ايضًا معهم فحينيئذ اشتدّ الامر على الفرنج وبلغت القلوب الحناجر وكانوا قد اشتدّ تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدّة الحرّ والقتال فخالطهم المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون معهم وكان طايفة قليلة فى الخيام شرقىّ الحصن فراوا الفرنج قد اهملوا ذلك الجانب لانّهم لا يروا فيه مقاتلًا وليكثروا فى الجهة التى فيها صلاح الدين فصعد تلك الطايفة من العسكر فلم يمنعهم مانع فصعدوا ايضًا الحصن من الجهة الاخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فملكوا الحصن عنوةً وقهرًا ودخل الفرنج القلّة التى للحصن واحاط بها المسلمون وارادوا نقبها وكان الفرنج قد رفعوا مَن عندهم من اسرى المسلمين الى سطح القلّة وارجلهم فى القيود والخشب المنقوب فلمّا سمعوا تكبير المسلمين فى نواحى القلعة كبّروا فى سطح القلّة وظنّ[1] الفرنج انّ المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا والقوا بايديهم الى الاسر فملكها المسلمون عنوةً ونهبوا ما فيها واسروا وسبوا مَن فيها واخذوا صاحبها واهله وامسَتْ خالية لا ديار بها والقى المسلمون النار فى بعض بيوتها فاحترقتْ ، ومن اعجب ما يُحكى من السلامة انّى رايتُ رجلًا من المسلمين على هذا قد جآء من طايفة من المومنين شمالىّ القلعة الى طايفة اخرى من المسلمين جنوبىّ القلعة وهو يعدو فى الجبل عرضًا فالقيتْ عليه الحجارة وجآته حجر كبيرة لو نالته لبعجتْه فنزلت عليه فناداه الناس يحذرونه فالتفت

[1] ظن (ا

ينظر ما الخبر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجاءت الحجر اليه فلمّا قاربته وهو منبطحٌ على وجهه لقيها حجر اخر نابتة فى الارض فوق الرجل فضربتها المنحدرة فارتفعت عن الارض وجازت الرجل ثمّ عادت الى الارض من جانبه الاخر لم ينله منها اذًى ولا ضررٌ وقام يعدو حتّى لحق باصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فتعست امُّ الجبان ، واما صاحب برزية فانّه أُسر هو واصحابه وامراته واولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرّقهم العسكر فارسل صلاح الدين فى الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلمّا قارب انطاكيّة اطلقهم وسيّرهم اليها وكانت امراة صاحب برزية اخت امراة بيمند صاحب انطاكيّة وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه وتُعلمه كثيرًا من الاحوال التى تتوثر فاطلف هولآء لاجلها ☆

ذكر فتح درب ساك

لمّا فتح صلاح الدين حصن برزية رحل عنه من الغد فاتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكيّة فاقام عليه حتّى وافاه مَن تخلّف عنه من عسكره ثمّ سار عنه الى قلعة درب ساك فنزل عليها ثامن رجب وهى من معاقل الداويّة الحصينة وقلاعهم التى يدّخرونها لحماياتهم عند نزول الشدايد فلمّا نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمى بالحجارة فهدمت من سورها شيًا يسيرًا فلم يبال مَن فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدّم النقّابون فنقبوا منها برجًا وعلّقوه فسقط واتّسع المكان الذى تريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثمّ باكروا الزحف من الغد وكان مَن فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكيّة يستنجدونه فصبروا واظهروا الجلد وهم ينتظرون جوابه امّا بانجادهم وازاحة المسلمين عنهم وامّا بالتخلّى عنهم ليقوم عذرهم فى التسليم فلمّا علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليها واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الامان فامّنهم على شرط [ان] لا يخرج احد الّا بثيابه التى عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابّة ولا شئ ممّا بها ثمّ اخرجهم منه وسيّرهم الى انطاكيّة وكان فتحه تاسع عشر رجب ☆

Digitized by Google

ذكر فتح بغراس

ثمّ سار عن درب ساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد ان اختلف اصحابه فى حصرها فمنهم مَن اشار به ومنهم مَن نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكيّة ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر فى البزك مقابل انطاكيّة فاذا كان الامر كذلك قلّ المقاتلون عليها ويتعذّر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره بزكًا مقابل انطاكيّة يُغيرون على اعمالها وكانوا حذرين من الخوف من اهلها ان غفلوا لقربهم منها وصلاح الدين فى بعض اصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المنجنيقات فلم يوثر فيها شيًا لعلوّها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذّر فتحها وتاخّر مُلكها وشقّ على المسلمين قلّة المآء عندهم الّا انّ صلاح الدين نصب للحياض وامر بحمل المآء اليها فخفّف الامر عليهم فبينما هو على هذه الحال واذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فاجيب الى ذلك فاذن له فى الحضور فحضر وطلب الامان لمن فى الحصن حتّى يسلّموه اليه بما فيه على قاعدة درب ساك فاجابهم الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلاميّة فرفعت على راس القلعة ونزل مَن فيها وتسلّم المسلمون القلعة بما فيها من ذخاير واموال وسلاح وامر صلاح الدين بتخريبه فخُرّب وكان ذلك مصرّة عظيمة على المسلمين فانّ ابن ليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدّد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتاذّى بهم السواد الذى لحلب وهو الى الآن بايديهم ☆

ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكيّة

لمّا فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجّه الى انطاكيّة وحصرها فخاف البيمند صاحبها من ذلك واشفق منه فارسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة وبذل اطلاق كلّ اسير عنده من المسلمين فاستشار مَن عنده من اصحاب الاطراف وغيرهم فاشار اكثرهم باجابته الى ذلك ليعود الناس ليستريحون ويجدّدون ما يحتاجون اليه فاجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية اشهر اوّلها اوّل تشرين الاوّل واخرها اخر ايار وسيّر

رسوله الى صاحب انطاكيّة يستحلفه ويطلف مَن عنده من الاسرى وكان صاحب انطاكيّة فى هذا الوقت اعظم الفرنج شانًا واكثرهم مُلكًا فانّه كان الفرنج قد سلّموا اليه طرابلس بعد موت القمص وجميع اعمالها مضافًا الى ما كان له لانّ القمص لم يخلّف ولدًا فلمّا سُلّمتْ اليه طرابلس جعل ولده الاكبر فيها نايبًا عنه ، واما صلاح الدين فانّه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرّق العساكر الشرقيّة كعماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار والخابور وعسكر الموصل وغيرها ثم رحل من حلب الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح ابا زكريّا المغربىّ وكان مقيمًا هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين الامير عزّ الدين ابو الفليتة قاسم بن المهنّا العلوىّ الحسينىّ وهو امير مدينة النبىّ صلّعم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبارك برؤيته وتيمّن بصحبته وكان يُكرمه كثيرًا وينبسط معه ويرجع الى قوله فى اعماله كلّها ودخل دمشق اوّل شهر رمضان فاشير عليه بتفريق العساكر فقال انّ العمر قصير والاجل غير مامون وقد بقى بيد الفرنج هذه الحصون كوكب وصفد والكرك وغيرها ولا بدّ من الفراغ منها فانّها فى وسط بلاد الاسلام ولا يومن شرّ اهلها وان اغفلناهم ندمنا فيما بعد والله اعلم ☆

ذكر فتح الكرك وما يجاوره

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرًا يحصره فلازموا الحصار هذه المدّة الطويلة حتّى فنيتْ ازواد الفرنج وذخايرهم واكلوا دوابّهم وصبروا حتّى لم يبق للصبر مجالٌ فراسلوا الملك العادل اخا صلاح الدين وكان جعله صلاح الدين على قلعة الكرك فى جمع من العسكر يحصرها ويكون مطلعًا على هذه الناحية من البلاد لمّا ابعد هو الى درب ساك وبغراس فوصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وارسل الى مقدّم العسكر الذى يحصرها فى المعنى فتسلّم القلعة منهم وامّنهم وتسلّم ايضًا ما يقاربه من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرّغ القلب من تلك الناحية

والقى الاسلام هناك جرانه وامنت قلوب مَن فى ذلك السُّقع من البلاد كالقدس وغيره فانّهم كانوا ممّن بتلك الحصون وجلين ومن شرّهم مشفقين ۞

ذكر فتح قلعة صفد

لمّا وصل صلاح الدين الى دمشق واشير عليه بتفريق العساكر وقال لا بدّ من الفرنج من صفد وكوكب وغيرها اقام بدمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها وقاتلها ونصب عليها المنجنيقات وادام الرمى اليها ليلًا ونهارًا بالحجارة والسهام وكان اهلها قد قارب ذخايرهم وازوادهم ان تفنى فى المدّة التى كانوا فيها محاصرين فانّ عسكر صلاح الدين كان يحاصرهم كما ذكرناه فلمّا راى اهله جدّ صلاح الدين فى قتالهم خافوا ان يقيم الى ان يفنى ما بقى معهم من اقواتهم وكانت قليلة وياخذهم عنوة ويهلكهم او انّهم يضعفون عن مقاومته قبل فنآء ما عندهم من القوت فياخذهم فارسلوا يطلبون الامان فامّنهم وتسلّمها منهم فخرجوا عنها وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرّهم فانّهم كانوا وسط البلاد الاسلاميّة ۞

ذكر فتح كوكب

لمّا كان صلاح الدين يحاصر صفد اجتمع مَن بصور من الفرنج وقالوا ان فتح المسلمون قلعة صفد لم تبق كوكب ولو انّها معلّقة بالكوكب وحينيئذ ينقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد فاتّفق رايهم على انفاذ نجدة لها سرًّا من رجال وسلاح وغير ذلك فاخرجوا مابين رجل من شجعان الفرنج واجلادهم فساروا الليل مستخفين واقاموا النهار مكمنين فاتّفق من قدر الله تعالى انّ رجلًا من المسلمين الذين يحاصرون كوكب خرج متصيّدًا فلقى رجلًا من تلك النجدة فاستغربه بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وما الذى اقدمه الى هناك فاقرّ بالحال ودلّه على اصحابه فعاد الجندىّ المسلم الى قايماز النجمىّ وهو مقدّم ذلك العسكر فاعلمه الخبر والفرنجىّ معه فركب فى طايفة من العسكر الى الموضع الذى قد اختفى فيه الفرنج فكبسهم فاخذهم وتتبّعهم فى الشعاب والكهوف فلم يُفلت منهم احدٌ فكان معهم مقدّمان من فرسان الاستبتار فحُملوا الى صلاح الدين وهو على صفد فاحضرهما ليقتلهما وكانت عادته

قتل الداوية والاسبتارية لشدة عداوتهم للمسلمين وشجاعتهم فلما امر بقتلهما قال له احدهما ما اظن ينالنا سوء وقد نظرنا الى طلعتك المباركة ووجهك الصبيح وكان رحمه الله كثير العفو يفعل الاعتذار والاستعطاف فيه فيعفو ويصفح فلما سمع كلامهما لم يقتلهما وامر بهما فسجنا ، ولما فتح صفد سار عنها الى كوكب ونازلها وحصرها وارسل الى من بها من الفرنج يبذل لهم الامان ان سلموا ويتهددهم بالقتل والسبى والنهب ان امتنعوا فلم يسمعوا قوله واصروا على الامتناع فجد فى قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات وتابع رمى الاحجار اليهم وزحف مرة بعد مرة وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع ليلا ولا نهارا فلم يتمكن المسلمون من القتال على الوجه الذى يريدونه وطال مقامهم عليها وفى اخر الامر زحف اليها دفعات متناوبة فى يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم المنقابون والرماة يحمونهم بالنشاب عن قوس اليد والجروخ فلم يقدر احد منهم ان يخرج راسه من اعلى السور فنقبوا الباشورة فسقطت وتقدموا الى السور الاعلى فلما راى الفرنج ذلك اذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان فامنهم وتسلم الحصن منهم منتصف ذى القعدة وسيرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها من شياطين الفرنج وشجعانهم كل صنديد فاشتدت شوكتهم وجمعت جمرتهم وتابعوا الرسل الى من بالاندلس وصقلية وغيرها من جزاير البحر يستغيثون ويستنجدون والامداد كل قليل تاتيهم وكان ذلك كله بتفريط صلاح الدين فى اطلاق كل من حصره حتى غص بنانه ندما واسفا حيث لم ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب وصفد من حد ايلة الى اقصى اعمال بيروت لا يفصل بينه غير مدينة صور وجميع اعمال انطاكية سوى القصير ولما ملك صلاح الدين صفد سار الى البيت المقدس فعيد فيه عيد الاضحى ثم سار منه الى عكا فاقام بها حتى انسلخت السنة ☆

ذكر ظهور طايفة من الشيعة بمصر

فى هذه السنة ثار بالقاهرة جماعة من الشيعة عدتهم اثنا عشر رجلا ليلا ونادوا بشعار العلويين يال علىّ يال علىّ وسلكوا الدروب ينادون ظنا منهم ان رعية البلد يلبون دعوتهم ويخرجون معهم فيعيدون

الدولة العلويّة ويُخرجون بعض مَن بالقصر محبوسًا منهم ويملكون البلد فلم يلتفت احد منهم اليهم ولا اعارهم سمعه فلمّا راوا ذلك تفرّقوا خايفين فأُخذوا وكُتب بذلك الى صلاح الدين فاهمّه امرهم وازعجه فدخل عليه القاضى الفاضل فاخبره الخبر فقال القاضى الفاضل ينبغى ان تفرح بذلك ولا تحزن ولا تهتمّ حيث علمتَ من بواطن رعيّتك المحبّة لك والنصح وترك الميل الى عدوّك ولو وضعت جماعة يفعلون مثل هذه الحالة لتعلم بواطن اصحابك ورعيّتك وخسرت الاموال الجليلة عليهم لكان قليلًا فسرى عنه وكان هذا القاضى الفاضل صاحب دولة صلاح الدين واكبر مَن بها وستاتى مناقبه عند وفاته ما تراه ۞

ذكر انهزام عسكر الخليفة من السلطان طغرل

فى هذه السنة جهّز الخليفة الناصر لدين الله عسكرًا كثيرًا وجعل المقدّم عليهم وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس وسيّرهم الى مساعدة قزل ليكفّ الناس طغرل عن البلاد فسار العسكر ثالث صفر الى ان قارب همذان فلم يصل قزل اليهم واقبل طغرل اليهم فالتقوا ثامن ربيع الاوّل بداى مرج عند همذان واقتتلوا فلم يثبت عسكر بغداد بل انهزموا وتفرّقوا وثبت الوزير قايمًا ومعه مصحف وسيف فاتاه من عسكر طغرل مَن اسره واخذ ما معه من خزانة وسلاح ودوابّ وغير ذلك وعاد العسكر الى بغداد متفرّقين وكنتُ حينيذ بالشام فى عسكر صلاح الدين يريد الغزاة فاتاه الخبر مع النجابين بمسير العسكر البغدادىّ فقال كانّكم وقد وصل الخبر بانهزامهم فقال له بعض الحاضرين وكيف ذلك فقال لا شكّ انّ اصحابى واهلى اعرف بالحرب من الوزير واطوع فى العسكر منه ومع هذا فما ارسل احدًا منهم فى سريّة للحرب الّا واخاف عليه وهذا الوزير فغير عارف بالحرب وقريبُ العهد بالولاية ولا يراه الامرآء اهلًا ان يُطاع وفى مقابلة سلطان شجاع قد باشر الحرب بنفسه ومَن معه يطيعه وكان الامر كذلك ووصل الخبر اليه بانهزامهم فقال لاصحابه كنتُ اخبرتُكم بكذا وكذا وقد وصل الخبر بذلك ، ولمّا عادت عساكر بغداد منهزمة قال بعض الشعرآء وهو احمد بن الواثق بالله

أُتركونا من جايحات الجريمة طلعةً طلعةً تكون وخيمة

بركات الوزير قد شملتنا فلهذا امورنا مستقيمة
خرجت جندنا تريد خراسان جميعًا بأبّهات عظيمة
بخيول وعدّة وعديد وسيوف مجرّبات قديمة
ووزير وطاق طنب ونفش وخيول معدّة للهزيمة
ثمّ رأوا غرّة العدو قد[1] اقبل ولوآء وانحلّ عقد العزيمة
واتونا ولا بخفّي حنين بوجوه سود قباح ذميمة
لو راى صاحب الزمان ولو عاين افعالهم وقبح الجريمة
قابل الكلّ بالنكال وناهيك بها سُبّةً عليهم مقيمة

كان ينبغى ان تتقدّم هذه الحادثة وانّما اخّرتها لتتبع الحوادث المتقدّمة بعضها بعضًا لتعلق كلّ واحدة منها بالاخرى ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى شيخنا ابو محمّد عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن سويدة التكريتىّ كان عالمًا بالحديث وله تصانيف حسنة ، وفيها توفّيت سلجوقة خاتون بنت قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان زوجة الخليفة وكانت قبله زوجة نور الدين محمّد بن قرا ارسلان صاحب الحصن فلمّا توفّى عنها تزوّجها الخليفة ووجد الخليفة عليها وجدًا عظيمًا ظهر للناس كلّهم وبنى على قبرها تُربةً بالجانب الغربىّ والى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة ، وفيها توفّى علآء الدين تتامش وحُمل تابوته الى مشهد الحسن عمّ ، وفيها توفّى خادم الخليفة وكان اكبر امير ببغداد ، ومات ابو الفرج بن النقور[2] العدل ببغداد وسمع الحديث الكثير وهو من بيت الحديث رحمه الله ☆

سنة ٥٨٥ ثمّ دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة ،

ذكر فتح شقيف ارنوم

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار صلاح الدين الى شقيف ارنوم وهو من امنع الحصون ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو ارناط صاحب صيدا وكان هذا ارناط من اعظم الناس دهآء ومكرًا

---

[1]) وقد (1 المعور :Ups. النقور :C. P. 740 [2]

فدخل اليه واجتمع به واظهر له الطاعة والمودّة وقال له انا محبٌّ لك ومعترف باحسانك واخاف ان يعرف المركيس ما بيني وبينك فينال اولادي واهلي منه اذًى فانّهم عنده فاشتهي ان تمهلني حتّى اتوصّل في تخليصهم من عنده وحينيئذ احضر انا وهم عندك ونسلّم الحصن اليك واكون انا وهم في خدمتك نقنع بما تعطينا من اقطاع فظنّ صلاح الدين صدقه فاجابه الى ما سال فاستقرّ الامر بينهما ان يتسلّم الشقيف في جمادى الاخرة واقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر الميعاد وهو قلقٌ مفكّر لقرب انقضآء مدّة الهدنة بينه وبين البيمند صاحب انطاكيّة فامر تقي الدين ابن اخيه ان يسير في مَن معه من عساكره ومَن ياتي من بلاد المشرق ويكون مقابل انطاكيّة ليُبْلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضآء الهدنة، وكان ايضًا منزعج الخاطر كثير الهمّ لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما يتّصل بهم من الامداد في البحر وانّ ملك الفرنج الذي كان قد اسره صلاح الدين واطلقه بعد فتح القدس قد اصطلح هو والمركيس بعد اختلاف كان بينهما وانّهم قد اجتمعوا في خلق لا تُحصى فانّهم قد خرجوا من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا واشباهه ممّا يزعجه ويخاف من ترك الشقيف ورآء ظهره والتقدّم الى صور وفيها الجوع المتوافرة فتنقطع الميرة عنه الّا انّه مع هذه الاشيآء مقيم على العهد مع ارناط صاحب الشقيف وكان ارناط في مدّة الهدنة يشترى الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك ممّا يُحصّن به شقيفه وكان صلاح الدين يُحسّن الظنّ واذا قيل له عنه ممّا هو فيه من المكر وانّ قصده المطاولة الى انْ يظهر الفرنج من صور وحينيئذ يبدى فضيحته ويظهر مخالفته لا يقبل فيه فلمّا قارب انقضآء الهدنة تقدّم صلاح الدين من معسكره الى القرب من شقيف ارنوم واحضر عنده ارناط وقد بقى من الاجل ثلاثة ايّام فقال له في معنى تسليم الشقيف فاعتذر باولاده واهله وانّ المركيس لم يمكنهم من المجئ اليه وطلب التاخير مدّة اخرى فحينيئذ علم السلطان مكره وخداعه فاخذه وحبسه وامره بتسليم الشقيف فطلب قسّيسًا ذكره

ليحمل رسالة الى مَن بالشقيف ليسلّموه فاحضروه عنده فسارّه بما لم يعلموا فمضى ذلك القسيس الى الشقيف فاظهر اهله العصيان فسيّر صلاح الدين ارناط الى دمشق وسجنه وتقدّم الى الشقيف فحصره وضيّق عليه وجعل عليه مَن يحفظه ويمنع عن الذخيرة والرجال ☆

ذكر وقعة البيرك مع الفرنج

لمّا كان صلاح الدين بمرج عيون وعلى الشقيف جآته كُتب من اصحابه الذين جعلهم يَرَكًا فى مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها انّ الفرنج قد اجمعوا على عبور الجسر الذى لصور وعزموا على حصار صيْدا فسار صلاح الدين جريدة فى شجعان اصحابه سوى مَن جعله على الشقيف فوصل اليهم وقد فات الامر وذلك انّ الفرنج قد فارقوا صور وساروا عنها لمقصدهم فلقيهم البيرك على مضيق هناك وقاتلوهم ومنعوهم وجرى لهم معهم حرب شديدة يشيب لها الوليد واسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقُتل من المسلمين ايضًا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من اشجع الناس فحمل وحده على صفّ الفرنج فاختلط بهم وضربهم بسيفه يمينًا وشمالًا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله ثمّ انّ الفرنج عجزوا عن الوصول الى صيْدا فعادوا الى مكانهم ☆

ذكر وقعة ثانية للغزاة المتطوّعة

لمّا وصل صلاح الدين الى البيرك وقد فاتته تلك الوقعة اقام عندهم فى خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بثار مَن قتلوه من المسلمين فركب فى بعض الايّام فى عدّة يسيرة على ان ينظر الى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده وظنّ مَن هناك من غزاة العجم والعرب المتطوّعة انّه على قصد المصاف والحرب فساروا مجدّين واوغلوا فى ارض العدوّ مبعدين وفارقوا الحزم وخلّفوا السلطان ورآء ظهورهم وقاربوا الفرنج فارسل صلاح الدين عدّة من الامرآء يردّونهم ويحمونهم الى ان يخرجوا فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد اعتقدوا انّ ورآءهم كمينًا فلم يقدموا عليهم فارسلوا مَن ينظر حقيقة الامر فاتاهم الخبر انّهم منقطعون عن المسلمين وليس ورآءهم ما يُخاف فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم فلم يلبثوا ان انهزموا وقُتل معهم جماعة من

المعروفين وشقّ على صلاح الدين والمسلمين ما جرى عليهم وكان ذلك بتفريطهم فى حقّ انفسهم رحمهم الله ورضى عنهم وكانت هذه الوقعة تاسع جمادى الاولى فلمّا راى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم فى عسكره فحملوا على الفرنج فالقوهم الى الجسر وقد اخذوا طريقهم فالقوا انفسهم فى الماء فغرق منهم نحو مائة دارع سوى مَن قُتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه خلق كثير فلمّا راى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلمّا عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين ثمّ الى عكّا ينظر حالها ثمّ عاد الى العسكر والمخيّم ☆

ذكر وقعة ثالثة

لمّا عاد صلاح الدين الى العسكر اتاه الخبر انّ الفرنج يخرجون من صور للاحتطاب والاحتشاش متبدّدين فكتب الى مَن بعكّا من العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن جمادى الاخرة ليلاقوهم من الجانبين ورتّب كمناء فى موضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة من شجعان عسكره وامرهم انّهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم شيئًا من قتال ثمّ تطاردوا لهم واروهم العجزَ عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج فاستجرّوهم الى ان يجوزوا موضع الكمين ثمّ يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلمّا تراءى الجمعان والتقت الفئتان انف فرسان المسلمين ان يظهر عنهم اسم الهزيمة وثبتوا فقاتلوهم وصبر بعضهم لبعض واشتدّ القتال وعظم الامر ودامت الحرب وطال على الكمناء الانتظار فخافوا على اصحابهم فخرجوا من مكامنهم نحوهم مسرعين واليهم قاصدين فاتوهم وهم فى شدّة الحرب فازداد الامر شدّة على شدّة وكان فيهم اربعة امراء من ربيعة طيّ وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا مسلك اصحابهم فسلكوا الوادى ظنًّا منهم انّه يخرج بهم الى اصحابهم وتبعهم بعض ممالبك صلاح الدين فلمّا رءاهم الفرنج بالوادى علموا انّهم جاهلون فاتوهم وقاتلوهم واما المملوك فانّه نزل عن فرسه وجلس على صخرة واخذ قوسه بيده وحمى نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك وهو يرميهم فجرح منهم جماعة وجرحوه جراحات كثيرة فسقط فاتوه وهو باخر رمق فتركوه وانصرفوا وهم يحسبونه ميتًا ثمّ انّ المسلمين جاءوا من الغد الى موضعهم فراوا القتلى وراوا المملوك حيًّا فحملوه

فى كسآء وهو لا يكاد يُعرف من الجراحات فايسوا من حياته واعرضوا عليه الشهادة وبشّروه بالشهادة فتركوه ثمّ عادوا اليه فراوه وقد قويت نفسه فاقبلوا عليه بمشروب فعوفى ثمّ كان بعد ذلك لا يحضر مشهدًا الّا كان له فيه الاثر العظيم ۞

ذكر مسير الفرنج الى عكّا ومحاصرتها

لمّا كثر جمع الفرنج بصور على ما ذكرناه من انّ صلاح الدين كان كلّما فتح مدينة او قلعة اعطى اهلها الامان وسيّرهم اليها باموالهم ونسآيهم واولادهم فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يُعدّ ولا يُحصى ومن الاموال ما لا يفنى على كثرة الانفاق فى السنين الكثيرة ثمّ انّ الرهبان والقسوس وخلقًا كثيرًا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد واظهروا الحزن على خروج البيت المقدّس من ايديهم واخذهم البترك الذى كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفها بهم جميعًا ويستنجدون اهلها ويستجيرون بهم ويحثّونهم على الاخذ بثار البيت المقدّس وصوّروا المسيح عم وجعلوا صورة رجل عربىّ والعربىّ يضربه وقد جعلوا الدمآء[1] على صورة المسيح عم وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمّد نبىّ المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على الفرنج فحشروا وحشدوا حتّى النسآء فانّهم كان معهم على عكّا عدّة من النسآء يبارزون الاقران على ما نذكره ان شآء الله تعالى ومن لم يستطع الخروج استاجر من يخرج عوضه او يعطيهم مالًا على قدر حالهم فاجتمع لهم من الرجال والاموال ما لا يتطرّق اليه الاحصآء ولقد حدّثنى بعض المسلمين المقيمين بحصن الاكراد وهو من اجناد اصحابه الذين سلّموه الى الفرنج قديمًا وكان هذا الرجل قد ندم على ما كان منه موافقة الفرنج فى الغارة على بلاد الاسلام والقتال معهم والسعى معهم وكان سبب اجتماعى به ما اذكره سنة تسعين وخمسمايّة ان شآء الله تعالى قال لى هذا الرجل انّه دخل مع جماعة من الفرنج من حصن الاكراد الى البلاد البحريّة التى للفرنج والروم فى اربع شوانى يستنجدون قال فانتهى بنا التطواف الى روميّة الكبرى فخرجنا منها وقد ملانا الشوانى

---

[1] الرماد (؟)

نفرة ، وحدّثنى بعض الاسرى منهم انّه له والدة ليس لها ولد سواه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهّزته بثمنه وسيّرته لاستنقاذ البيت المقدّس فأُخذ اسيرًا وكان عند الفرنج من الباعث الدينىّ والنفسانىّ ما هذا حدّه فخرجوا على الصعب والذلول برًّا وبحرًا من كلّ فجّ عميق ولو لا الله تعالى لطف بالمسلمين واهلك ملك الالمان لمّا خرج على ما نذكره عند خروجه الى الشام والّا كان يقال انّ الشام ومصر كانتا للمسلمين ، فهذا كان سبب خروجهم فلمّا اجتمعوا بصور تموّج بعضهم فى بعض ومعهم الاموال العظيمة والبحر يمدّهم بالاقوات والذخاير والعدد والرجال من بلادهم فضاقت عليهم صور باطنها وظاهرها فارادوا قصد صيْدا وكان ما ذكرناه فعادوا واتّفقوا على قصد عكّا ومحاصرتها ومصابرتها فساروا اليها بفارسهم وراجلهم وقصّهم وقصيصهم ولزموا البحر فى مسيرهم لا يفارقونه فى السهل والوعر والضيق والسعة ومراكبهم تسير مقابلهم فى البحر فيها سلاحهم وذخايرهم ولتكون عدّة لهم ان جآهم ما لا قبل لهم به ركبوا فيها وعادوا وكان رحيلهم ثامن رجب ونزولهم على عكّا فى منتصفه ولمّا كانوا سايرين كان يترك المسلمين يتخطّفونهم ويأخذون المنفرد منهم ، ولمّا رحلوا جآء الخبر الى صلاح الدين برحيلهم فسار حتّى قاربهم ثمّ جمع امرآءه واستشارهم هل يكون المسير محاذاة الفرنج ومقاتلتهم وهم سايرون او يكون فى غير الطريق التى سلكوها فقالوا لا حاجة بنا الى احتمال المشقّة فى مسايرتهم فانّ الطريق وعر وضيق ولا يتهيأ لنا ما نريده منهم والراى انّنا نسير فى الطريق المهْيع ونجتمع عليهم عند عكّا فنفرّقهم ونمزّقهم فعلم ميلهم الى الراحة المعجّلة فوافقهم وكان رايه مسايرتهم ومقاتلتهم وهم سايرون وقال انّ الفرنج اذا نزلوا لصقوا بالارض فلا يتهيأ لنا ازعاجهم ولا نيل الغرض منهم والراى قتالهم قبل الوصول الى عكّا فخالفوه فتبعهم وساروا على طريق كفركنّا فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل فى مقابل الفرنج جماعة من الامرآء يسايرونهم ويناوشونهم القتال ويتخطّفونهم ولم يقدم الفرنج عليهم مع قلّتهم فلو انّ العساكر اتبعت راى صلاح الدين فى مسايرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكّا لكان بلغ غرضه وصدّهم عنها ولكن اذا اراد الله امرًا هيّأ اسبابه ، ولمّا

وصل صلاح الدين الى عكّا راى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب الاخر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تلّ كيسان وامتدّت ميمنته الى تلّ الغياظيّة وميسرته الى النهر الجارى ونزلت الاثقال بصفوريّة وسيّر الكتب الى الاطراف بلستدعآء العساكر فاتاه عسكر الموصل وديار بكر وسنجار وغيرها من بلاد الجزيرة واتاه تقى الدين ابن اخيه واتاه مظفّر الدين بن زين الدين وهو صاحب حرّان والرُّها وكانت الامداد تاتى المسلمين فى البرّ وتاتى الفرنج فى البحر وكان بين الفريقيْن مدّة مقامهم على عكّا حروب كثيرة ما بين صغيرة وكبيرة منها اليوم المشهور ومنها ما هو دون ذلك ولانّ ما عداها كان قتالًا يسيرًا من بعضهم مع بعض فلا حاجة الى ذكره ولمّا نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكّا حتّى انسلخ رجب ثمّ قاتلهم مستهلّ شعبان فلم ينل منهم ما يريد وبات الناس على تعبيّة فلمّا كان الغد باكرهم القتال بحدّه وحديده واستدار عليهم من ساير جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرًا حار له مَن رءاه فلمّا كان وقت الظهر حمل عليهم تقى الدين حملة منكرة من الميمنة على مَن يليه منهم فازاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضًا لا يلوى اخٌ على اخ والتجأوا الى مَن يليهم من اصحابهم واجتمعوا بهم واخلوا نصف البلد وملك تقى الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما اخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتّصلت الطرق وزال الحصر عمّن فيه وادخل صلاح الدين اليه مَن اراد من الرجال وما اراد من الذخاير والاموال والسلاح وغير ذلك ولو انّ المسلمين لزموا قتالهم الى الليل فبلغوا ما ارادوه فانّ للصدمة الاولى روعة لكنّهم لمّا نالوا منهم هذا القدر اخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدًا ونقطع دابرهم وكان فى جملة مَن ادخله صلاح الدين الى عكّا من جملة الامرآء حسام الدين ابو الهيجآء السمين وهو من اكابر امرآء عسكره وهو من الاكراد الخطيّة من بلد اربل وقُتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كبيرة ۞

ذكر وقعة اخرى ووقعة العرب

ثمّ انّ المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان

عازمين على بذل جهدهم واستنفاد وُسعهم فى استيصالهم فتقدّموا على تعبيّتهم فراوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على ما فرّطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا اطرافهم ونواحيهم وشرعوا فى حفر خندق يمنع من الوصول اليهم فالحّ المسلمون عليهم فى القتال فلم يتقدّم الفرنج اليهم ولا فارقوا مرابضهم فلمّا راى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثمّ انّ جماعة من العرب بلغهم انّ الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من اشغالهم فكمنوا لهم فى معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلمّا خرج جمع من الفرنج على عادتهم حملت عليهم العرب فقتلوهم عن اخرهم وغنموا ما كان معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فاحسن اليهم واعطاهم الخلع ☆

ذكر الوقعة الكبرى على عكّا

لمّا كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقى المسلمون الى العشرين من شعبان كلّ يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثمّ انّ الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا انّ عسكر مصر لم يحضر والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضرت والراى انّنا نلقى المسلمين غدًا لعلّنا نظفر بهم قبل اجتماع العساكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غايبًا عنه بعضها مقابل انطاكيّة ليردّوا غايلة البيمند صاحبها عن اعمال حلب وبعضها فى حمص مقابل طرابلس لتحفظ ذلك الثغر ايضًا وعسكر فى مقابل صور لحماية ذلك البلد وعسكر بمصر يكون بثغر دمياط والاسكندريّة وغيرها والذى بقى من عسكر مصر كانوا لم يصلوا لطول بيكارهم كما ذكرناه قبلُ وكان هذا ممّا اطمع الفرنج فى الظهور الى قتال المسلمين واصبح المسلمون على عادتهم منهم مَن يتقدّم الى القتال ومنهم مَن هو فى خيمته ومنهم مَن قد توجّه فى حاجته من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو واصحابه ودوابّه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كانّهم الجراد المنتشر يدبّون على وجه الارض قد ملوها طولًا وعرضًا وطلبوا ميمنة المسلمين وعليها تقى الدين عمر بن اخى صلاح الدين فلمّا راى انّ الفرنج نحوه قاصدين حذر هو واصحابه فتقدّموا اليه فلمّا قربوا

منه تاخّر عنهم فلمّا راى صلاح الدين الحال وهو فى القلب امدّ تقى الدين برجال من عنده ليتقوّى بهم وكان عسكر ديار بكر وبعض الشرقيّين فى جناح القلب فلمّا راى الفرنج قلّة الرجال فى القلب وانّ كثيرًا منهم قد سار نحو الميمنة مددًا لهم عطفوا على القلب فحملوا حملة رجل واحد فاندفعت العساكر بين ايديهم منهزمين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم كالامير مجلى بن مروان والظهير اخو الفقيه عيسى وكان والى البيت المقدّس قد جمع بين الشجاعة والعلم والدين وكالحاجب خليل الهكّارىّ وغيرهم من الشجعان الصابرين فى مواطن الحرب ولم يبق بين ايديهم فى القلب من يردّهم فقصدوا التلّ الذى عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا مَن مرّوا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة منهم شيخنا جمال الدين ابو علىّ بن رواحة الحموىّ وهو من اهل العلم وله شعر حسن وما ورث الشهادة من بعيد فانّ جدّه عبد الله بن رواحة صاحب رسول الله صلّعم قتله الروم يوم موتة وهذا قتله الفرنج يوم عكّا وقتلوا غيره وانحدروا الى الجانب الاخر من التلّ فوضعوا السيف فيمن لقوه وكان من لطف الله تعالى بالمسلمين انّ الفرنج لم يلقوا خيمة صلاح الدين ولو القوها لعلم الناس وصولهم اليها وانهزام العساكر بين ايديهم فكانوا انهزموا اجمعين ، ثمّ انّ الفرنج نظروا ورآءهم فراوا امدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا خوفًا ان ينقطعوا عن اصحابهم وكان سبب انقطاعهم انّ الميمنة وقفت مقابلتهم فاحتاج بعضهم يقف مقابلها وحملت ميسرة المسلمين على الفرنج فاشتغل المدد بقتال مَن بها عن الاتّصال باصحابهم وعادوا الى طرف خنادقهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة صلاح الدين صادفوهم وهم راجعون فقاتلوهم وتاربهم غلمان العسكر ، وكان صلاح الدين لمّا انهزم القلب قد تبعهم يناديهم ويامرهم بالكرّة ومعاودة القتال فاجتمع معه منهم جماعة صالحة فحمل بهم على الفرنج من ورآء ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فاخذتهم سيوف الله من كلّ جانب فلم يفلت منهم احدٌ بل قُتل اكثرهم وأُخذ الباقون اسرى وفى جملة من أُسر مقدّم الداويّة الذى كان قد اسره صلاح الدين واطلقه فلمّا ظفر به الآن قتله وكانت عدّة القتلى سوى مَن كان الى جانب البحر نحو

عشرة الاف قتيل فامر بهم فألقوا فى النهر الذى يشرب الفرنج منه وكان عامّة القتلى من فرسان الفرنج فانّ الرجّالة لم يلحقوهم وكان فى جملة الاسرى ثلاث نسوة فرنجيّات كنّ يقاتلن على الخيل فلمّا أُسرن والقى عنهنّ السلاح عُرفن انّهنّ نسآء ، واما المنهزمون من المسلمين فمنهم مَن رجع من طبريّة ومنهم مَن جاوز الاردن وعاد ومنهم مَن بلغ دمشق ولو لا انّ العساكر تفرّقت فى الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستيصال والاهلاك مرادَهم على انّ الباقين بذلوا جُهدهم وجدّوا فى القتال وصمّموا على الدخول مع الفرنج فى معسكرهم لعلّهم يغزعون منهم فجآهم الصريخ بانّ رحالهم واموالهم قد نُهبت وكان سبب هذا النهب انّ الناس لمّا راوا الهزيمة حملوا اثقالهم على الدوابّ فثار بهم اوباش العسكر وغلمانه فنهبوه واتوا عليه وكان فى عزم صلاح الدين ان يباكرهم القتال والزحف فراى اشتغال الناس بما ذهب من اموالهم وهم يسعون فى جمعها وتحصيلها فامر بالندآء باحضار ما أُخذ فأُحضر منه ما ملأ الارض من المفارش والغيب المملوة والثياب والسلاح وغير ذلك فردّ الجميع على اصحابه ففاته ذلك اليوم ما اراد فسكن روع الفرنج واصلحوا شان الباقين منهم ☆

ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكّنهم من حصر عكّا

لمّا قُتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نتن ريحهم وفسد الهوآء والجوّ وجدّت الامزجة فسادًا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحصر عنده الامرآء واشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسّنوه له وقالوا قد ضيّقنا على الفرنج ولو ارادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدروا والراى انّنا نبعد عنهم بحيث يتمكّنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرّهم وكفوا شرّنا وان اقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثمّ انّ مزاجك منحرف والالم شديدٌ ولو وقع ارجاف لهلك الناس والراى على كلّ تقدير البعد عنهم ووافقهم الاطبّآء على ذلك فاجابهم اليه الى ما يريد الله يفعله وإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءً فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ،[1]

[1]) Cor. 13, 12.

Digitized by Google

فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وامر مَن بعكّا من المسلمين بحفظها واغلاق ابوابها والاحتياط واعلمهم بسبب رحيله ، فلمّا رحل هو وعساكر امن الفرنج وانبسطوا فى تلك الارض وعادوا حصروا عكّا واحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم ايضاً فى البحر تحصرها وشرعوا فى حفر الخندق وعمل السور من التراب الذى يخرجونه من الخندق وجآوا بما لم يكن فى الحساب وكان البزك كلّ يوم يوافقهم وهم لا يقاتلون ولا يتحرّكون انّما هم معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصّنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينيئذ ظهر راى المشيرين بالرحيل وكان البزك كلّ يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الامر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب واشار عليه بعضهم بان يرسل العساكر جميعها اليها ليمنعهم من الخندق والسور ويقاتلوهم ويتخلّف هو عنهم فقال اذا لم احضر معهم لا يفعلون شيئاً وربّما كان من الشرّ اضعاف ما نرجوه من الخير فتاخّر الامر الى ان عوفى فتمكّن الفرنج وعملوا ما ارادوا واحكموا امورهم وحصّنوا نفوسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان مَن بعكّا يخرجون اليهم كلّ يوم ويقاتلونهم وينالون منهم بظاهر البلد ☆

ذكر وصول عسكر مصر والاسطول المصرىّ فى البحر

فى منتصف شوّال وصلت العساكر المصريّة ومقدّمها الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايّوب فلمّا وصل قويت نفوس الناس به وبمن معه واشتدّت ظهورهم واحضر معه من الات الحصار من الدرق والطارقيّات والنشاب والاقواس شيئاً كثيراً ومعهم من الرجّالة الجمّ الغفير وجمع صلاح الدين من البلاد الشاميّة راجلاً كثيراً وهو على عزم الزحف اليهم بالفارس والراجل ووصل بعده الاسطول المصرىّ ومقدّمه الامير لؤلؤ وكان شهماً شجاعاً مقداماً خبيراً بالبحر والقتال فيه ميمون النقيبة فوصل بغتة فوقع على بُطْسة كبيرة للفرنج فغنمها واخذ منها اموالا كثيرة وميرة عظيمة فادخلها الى عكّا فسكنت نفوس مَن بها بوصول الاسطول وقوى جنانهم ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى صفر خُطب لولىّ العهد ابى نصر محمّد ابن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ونثرت الدنانير والدراهم وارسل الى البلاد فى اقامة

الخطبة ففعل ذلك ، وفيها فى شوّال ملك الخليفة تكريت وسبب ذلك انّ صاحبها وهو الامير عيسى قتله اخوته وملكوا القلعة بعده فسيّر الخليفة اليهم عسكرًا فحصروها وتسلّموها ودخل اصحابه الى بغداد فاعطوا اقطاعًا ، وفيها فى صفر فُتح الرباط الذى بناه الخليفة بالجانب الغربىّ من بغداد وحضر الخلق العظيم فكان يومًا مشهودًا ، وفى هذه السنة فى رمضان مات شرف الدين ابو سعد عبد الله بن محمّد بن هبة الله بن ابى عصرون الفقيه الشافعىّ بدمشق وكان قاضيها واضرّ وولى القضآء بعده ابنه وكان الشيخ من اعيان الفقهآء الشافعيّة ، وفيها فى ذى القعدة توفّى الفقيه ضيآء الدين عيسى الهكّارىّ بالخروبة مع صلاح الدين وهو من اعيان امرآء عسكره ومن قدمآء الاسديّة وكان فقيهًا جنديًّا شجاعًا كريمًا ذا عصبيّة ومروّة وهو من اصحاب الشيخ الامام ابى القسم بن البَرْزىّ تفقّه عليه بجزيرة ابن عمر ثمّ اتّصل باسد الدين شيركوه فصار امامًا له فراى من شجاعته ما جعل له اقطاعًا وتقدّم عند صلاح الدين تقدّما عظيمًا ، وفيها فى صفر توفّى شيخنا ابو العبّاس احمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن افصل الزمان بمكّة وكان رحمه الله عالمًا متبحّرًا فى علوم كثيرة خلاف فقه مذهبه والاصولَيْن والحساب والفرايض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك وختم اعماله بالزهد ولبس الخشن واقام بمكّة حرسها الله تعالى مجاورًا فتوفّى بها وكان من احسن الناس صُحبةً وخُلُقًا ، وفيها فى ذى القعدة مات ابو طالب المبارك بن المبارك الكرخىّ مدرّس النظاميّة وكان من اصحاب ابى الحسن بن الخلّ وكان صالحًا خيّرًا له عند الخليفة والعامّة حُرمة عظيمة وجاهٌ عريضٌ وكان حسن الخطّ يضرب به المثل ۞

ثمّ دخلت سنة ستّ وثمانين وخمسمايّة ، سنة ٥٨٦

ذكر وقعة الفرنج والبزك وعود صلاح الدين الى منازلة الفرنج

قد ذكرنا رحيل صلاح الدين عن عكّا الى الخروبة[1] لمرضه فلمّا برأ اقام بمكانه الى ان ذهب الشتآء وفى مدّة مقامه بالخروبة[2] كان يزكه[3] وطلايعه لا تنقطع عن الفرنج فلمّا دخل صفر من سنة ستّ وثمانين

(1 الخرونة (2 الخرونه (3 بركه

وخمسمائة سمع الفرنج انّ صلاح الدين قد سار للصيد وراى العسكر الذى فى البزك عندهم قليلًا وانّ الوحل الذى فى مرج عكّا كثير يمنع من سلوكه مَن اراد ان يُنجد البزك فاغتنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على البزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون وحموا انفسهم بالنشاب واحجم الفرنج عنهم حتّى فى نشابهم فحملوا عليهم حينيئذ جملة رجل واحد فاشتدّ القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انّه لا ينجيهم الّا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقتل الى ان جاء الليل وقُتل من الفريقَيْن جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ، ولمّا عاد صلاح الدين الى المعسكر سمع خبر الوقعة فندب الناس الى نصر اخوانهم فاتاه الخبر انّ الفرنج عادوا الى خندقهم فاقام ثمّ انّه راى الشتآء قد ذهب وجآءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحماة وغيرها فتقدّم من الخروبة[1] نحو عكّا فنزل بتلّ كيسان وقاتل الفرنجَ كلّ يوم ليشغلهم عن قتال مَن بعكّا من المسلمين فكانوا يقاتلون الطايفتَيْن ولا يسأمون ۞

ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول

كان الفرنج فى مدّة مقامهم على عكّا قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب عالية جدًّا طول كلّ برج منها فى السمآء ستّون ذراعًا وعملوا كلّ برج منها خمس طبقات كلّ طبقة مملوّة من المقاتلة وقد جمع اخشابها من الجزاير فانّ مثل هذه الابراج العظيمة لا يصلح لها من الخشب الّا القليل النادر وغشوها بالجلود والخلّ والطين والادوية التى تمنع النار من احراقها واصلحوا الطرق لها وقدّموها نحو مدينة عكّا من ثلاث جهات وزحفوا بها من العشرين من ربيع الاوّل فاشرفت على السور وقاتل مَن بها مَن عليه فانكشفوا وشرعوا فى طمّ خندقها فاشرف البلد على ان يُملك عنوةً وقهرًا فارسل اهله الى صلاح الدين انسانًا سبح فى البحر فاعلمه ما هم فيه من الضيق وما قد اشرفوا عليه من اخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدّموا الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالًا عظيمًا دايمًا يشغلهم عن مكاثرة البلد فافترق الفرنج فرقتَيْن فرقة

---

[1] الخروبة

تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل اهل عكّا الّا انّ الامر قد خفّ عن مَن بالبلد ودام القتال ثمانية ايّام متتابعة اخرها الثامن والعشرين من الشهر وسَئِم الفريقان القتال وملّوا منه لملازمته ليلًا ونهارًا والمسلمون قد تيقّنوا استيلآء الفرنج على البلد لما راوا من عجز مَن فيه عن دفع الابراج فانّهم لم يتركوا حيلة الّا وعملوها فلم يُفِد ذلك ولم يُغن عنهم شيًا وتابعوا رمى النفط الطيار عليها فلم يوثر فيها فايقنوا بالبوار والهلاك فاتاهم الله بنصر من عنده واذنٍ من احراق الابراج وكان سبب ذلك انّ انسانًا من اهل دمشق كان مولعًا بجمع الات النقّاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان مَن يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم اباشرها بنفسى انّما اشتهى معرفتها وكان بعكّا لامر يريده الله فلمّا راى الابراج قد نُصبت على عكّا شرع فى عمل ما يعرفه من الادوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شئ من الطين والخلّ وغيرهما فلمّا فرغ منها حضر عند الامير قراقوش وهو متولّى الامور بعكّا والحاكم فيها وقال له يامر المنجنيقىّ ان يرمى فى المنجنيق للحاذى لبرج من هذه الابراج ما اعطيه حتّى احرقه وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومَن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظًا بقوله وحَرِد عليه فقال له قد بالغ اهل هذه الصناعة فى الرمى بالنفط وغيره فلم يُفلحوا فقال له مَن حضر لعلّ الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرّنا ان نوافقه على قوله فاجابه الى ذلك وامر المنجنيقىّ بامتثال امره فرمى عدّة قدور نفطًا وادوية ليس فيها نار فكان الفرنج اذا راوا القدر لا يحرق شيًا يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتّى علم انّ الذى القاه قد تمكّن من البرج القى قدرًا مملوّة وجعل فيها النار فاشتعل البرج والقى قدرًا ثانية وثالثة فاضطرمت النار فى نواحى البرج واعجلت مَن فى طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فاحترق هو ومَن فيه وكان فيه من الزرديات والسلاح شئ كثير وكان طمع الفرنج بما راوا انّ القدور الاولى لا تعمل بحملهم على الطمانينة وترك السعى فى الخلاص حتّى عجّل الله لهم النار فى الدنيا قبل الاخرة فلمّا احترق البرج الاوّل انتقل الى الثانى وقد هرب مَن فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يومًا مشهودًا لم ير

الناس مثله والمسلمون ينظرون ويفرحون وقد اسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحًا بالنصر وخلاص المسلمين من القتل لانّهم ليس فيهم احد الّا وله فى البلد امّا نسيب وامّا صديق وحُمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثير فلم يقبل منه لحبّة الفرد وقال انّما عملته لله تعالى ولا اريد الجزآء الّا منه وسُيّرتْ الكُتب الى البلاد بالبشاير وارسل يطلب العساكر الشرقيّة فاوّل مَن اتاه عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى وهو صاحب سنجار وديار الجزيرة ثمّ اتاه علآء الدين ولد عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى سيّره ابوه مقدّمًا على عسكره وهو صاحب الموصل ثمّ وصل زين الدين يوسف صاحب اربل وكان كلّ منهم اذا وصل يتقدّم الى الفرنج بعسكره وينضمّ اليه غيرهم ويقاتلونهم ثمّ ينزلون ووصل الاسطول من مصر فلمّا سمع الفرنج بقربه جهّزوا الى طريقه اسطولاً ليلقاه ويقاتله فركب صلاح الدين فى العساكر جميعها وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكّن من دخول عكّا فلم يشتغلوا عن قصده بشئ فكان القتال بين الفريقَيْن برًّا وبحرًا وكان يومًا مشهودًا لم يورّخ مثله واخذ المسلمون من الفرنج مركبًا فيه من الرجال والسلاح واخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك الّا انّ القتل فى الفرنج كان اكثر منه فى المسلمين ووصل الاسطول الاسلامىّ سالمًا ☆

ذكر وصول ملك الالمان الى الشام وموته

فى هذه السنة خرج ملك الالمان من بلاده وهم نوع من الفرنج من اكثرهم عددًا واشدّهم باسًا وكان قد ازعجه مُلك الاسلام البيت المقدّس فجمع عساكره وازاح علّتهم وسار عن بلاده وطريقه على القسطنطينيّة فارسل ملك الروم بهذا الى صلاح الدين يعرّفه الخبر ويعد انّه لا يمكنه من العبور فى بلاده فلمّا وصل ملك الالمان الى القسطنطينيّة عجز ملكه عن منعه من العبور لكثرة جموعه لكنّه منع عنهم الميرة ولم يمكّن احدًا من رعيّته من حمل ما يريدونه اليهم فضاقت بهم الازواد والاقوات وساروا حتّى عبروا خليج القسطنطينيّة وصاروا على ارض بلاد الاسلام وهى مملكة الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن قتلمش بن سلجق فلمّا وصلوا الى اوايلها ثار بهم التركمان الارج فما زالوا يسايرونهم ويقتلون

مَن انفرد ويسرقون ما قدروا عليه وكان الزمان شتآء والبرد يكون فى تلك البلاد شديدًا والثلج متراكمًا فاهلكهم البرد والجوع والتركمان فقلّ عددهم فلمّا قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين ملكشاه بن قلج ارسلان ليمنعهم فلم يكن له بهم قوّة فعاد الى قونية وبها ابوه قد حجر ولده المذكور عليه وتفرّق اولاده فى بلاده وتغلّب كلّ واحد منهم على ناحية منها فلمّا عاد عنهم قطب الدين اسرعوا السير فى اثره فنازلوا قونية وارسلوا الى قلج ارسلان هديّة وقالوا له ما قصدنا بلادك ولا اردناها وانّما قصدنا البيت المقدّس وطلبوا منه ان ياذن لرعيّته فى اخراج ما يحتاجون اليه من قوت وغيره فاذن فى ذلك فاقاموا ما يريدون فشبعوا وتزوّدوا وساروا ثمّ طلبوا من قطب الدين ان يامر رعيّته بالكفّ عنهم وان يسلّم اليهم جماعة من امرآيه رهاين وكان يخافهم فسلّم اليهم نيّفًا وعشرين اميرًا كان يكرههم فساروا بهم معهم ولم يمتنع اللصوص وغيرهم من قصدهم والتعرّض اليهم فقبض ملك الالمان وقيّدهم فمنهم مَن هلك فى اسره ومنهم مَن فدى نفسه وسار ملك الالمان حتّى اتى بلاد الارمن وصاحبها لافون بن اصطفانة ابن ليون فامدّهم بالاقوات والعلوفات وحكّمهم فى بلاده واظهر الطاعة لهم ، ثمّ ساروا نحو انطاكيّة وكان فى طريقهم نهرٌ فنزلوا عنده ودخل ملكهم اليه ليغتسل فغرق فى مكان منه لا يبلغ الماء وسط الرجل وكفى الله شرّه وكان معه ولد له فصار ملكًا بعده وسار الى انطاكيّة فاختلف اصحابه عليه فاحبّ بعضهم العود الى بلاده فتخلّف عنه وبعضهم مال الى تمليك اخ له فعاد ايضًا وسار فيمَن صحّت نيّته له فعرضهم وكانت نيّفًا واربعين الفًا ووقع فيهم الوبآء والموت فوصلوا الى انطاكيّة وكانّهم قد نُبشوا من القبور فتبرّم بهم صاحبها وحسّن لهم المسير الى الفرنج على عكّا فساروا على جبلة ولاذقيّة وغيرهما من البلاد التى ملكها المسلمون وخرج اهل حلب وغيرها اليهم واخذوا منهم خلقًا كثيرًا ومات اكثر مَن أُخِذ فبلغوا طرابلس واقاموا بها ايّامًا فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم الّا نحو الف رجل فركبوا فى البحر الى الفرنج الذين على عكّا ولمّا وصلوا وراوا ما نالهم فى طريقهم وما هم فيه من الاختلاف عادوا الى بلادهم فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم احدٌ ، وكان الملك قلج ارسلان

يكاتب صلاح الدين باخبارهم ويعده انّه يمنعهم من العبور فى بلاده فلمّا عبروها وخلفوها ارسل يعتذر بالعجز عنهم لانّ اولاده حكموا عليه وجبروا عليه وتقرّقوا عنه وخرجوا عن طاعته، واما صلاح الدين عند وصول الخبر بعبور ملك الالمان فانّه استشار اصحابه فاشار كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل ان يتّصلوا بمن على عكّا فقال بل نقيم الى ان يقربوا منّا وحينيئذ نفعل ذلك ليلّا يستسلم مَن بعكّا من عساكرنا، لكنّه سيّر مَن عنده من العساكر منها عسكر حلب وجبلة ولاذقيّة وشيزر وغير ذلك الى اعمال حلب ليكونوا من اطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم وكان حال المسلمين كما قال الله عزّ وجلّ اذْ جَآءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَاِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَا هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا[1] فكفى الله شرّهم وردّ كيدهم فى نحرهم ومن شدّة خوفهم انّ بعض امرآء صلاح الدين كان له ببلد الموصل قرية وكان اخى رحمه الله يتولّاها فحصل دخلها من حنطة وشعير وتبن فارسل اليه فى بيع الغلّة فوصل كتابه يقول لا تبع للحبّة الفرد واستكثر لنا من التبن ثمّ بعد ذلك وصل كتابه يقول تبيع الطعام فانا بنا حاجة اليه ثمّ انّ ذلك الامير قدم الموصل فسالناه عن المنع من بيع الغلّة ثمّ الاذن فيها بعد مدّة يسيرة فقال لمّا وصلت الاخبار بوصول ملك الالمان ايقنا انّنا ليس لنا بالشام مقام فكتبت بالمنع من بيع الغلّة لتكون ذخيرة لنا اذا جينا اليكم فلمّا اهلكهم الله تعالى واغنى عنها كتبت ببيعها والانتفاع بثمنها ۞

ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكّا

وفى هذه السنة فى العشرين من جمادى الاخرة خرجت الفرنج فارسها واجلها من ورآء خنادقهم وتقدّموا الى المسلمين وهم كثير لا يحصى عددهم وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدّمهم الملك العادل ابو بكر بن ايّوب وكان المصريّون قد ركبوا واصطفّوا للقآء الفرنج فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديدًا فانحاز المصريّون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا اموالهم

---

[1]) Cor. 33, 10. 11.

فعطف المصريّون عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فاخرجوهم عنها وتوجّهت طايفة من المصريّين نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن اصحابهم الذين خرجوا وكانوا متّصلين كالنمل فلمّا انقطعت امدادهم القوا بايديهم واخذتهم السيوف من كلّ ناحية فلم ينج منهم الّا الشريد وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة الاف قتيل ، وكانت عساكر الموصل قريبة من عسكر مصر وكان مقدّمهم علآء الدين خرمشاه بن عزّ الدين مسعود صاحب الموصل فحملوا ايضًا على الفرنج وبالغوا فى قتالهم ونالوا منهم نيلًا كثيرًا هذا جميعه ولم يباشر القتال احد من الخلقة الخاصّ الّتى مع صلاح الدين ولا احدٌ من الميسرة وكان بها عماد الدين زنكى صاحب سنجار وعسكر اربل وغيرهم ولمّا جرى على الفرنج هذه الحادثة خمدت جمرتهم ولانتْ عريكتهم واشار المسلمون على صلاح الدين بمباكرتهم القتال ومناجزتهم وهم على هذه الحال من الهلع والجزع فاتّفق انّه وصله من الغد كتاب من حلب يخبر فيه بموت ملك الالمان وما اصاب اصحابه من الموت والقتل والاسر وما صار امرهم اليه من القلّة والذلّة واشتغل المسلمون بهذه البشرى والفرح بها عن قتال مَن بازايهم وظنّوا انّ الفرنج اذا بلغهم هذا الخبر ازدادوا وهنًا على وهنهم وخوفًا على خوفهم فلمّا كان بعد يومَيْن اتت الفرنج امداد فى البحر مع كند من الكنود البحريّة يقال له الكند هرى ابن اخى ملك افرنسيس لابيه وابن اخى ملك انكلتار[1] لامّه ووصل معه من الاموال شئ كثير يفوق الاحصآء فوصل الى الفرنج فجدّد الاجناد وبذل الاموال فعادت نفوسهم قويت واطمانّت واخبرهم انّ الامداد واصلة اليهم يتلوا بعضها بعضًا فتماسكوا وحفظوا مكانهم ثمّ اظهروا انّهم يريدون الخروج الى لقآء المسلمين وقتالهم فانتقل صلاح الدين من مكانه الى الخروبة[2] فى السابع والعشرين من جمادى الاخرة ليتّسع المجال وكانت المنزلة قد انتنتْ بريح القتلى ، ثمّ انّ الكند هرى نصب منجنيقًا ودبّابات وغرّادات فخرج مَن بعكّا من المسلمين فاخذوها وقتلوا عندها كثيرًا من الفرنج ثمّ انّ الكند هرى بعد اخذ منجنيقاته اراد ان ينصب منجنيقًا فلم

[1] انكليار [2] الخزونة

يتمكّن من ذلك لانّ المسلمين بعكّا كانوا يمنعون من عمل ستاير يستتر بها مَن يرمى من المنجنيق فعمل تلًّا من تراب بالبعد من البلد ثمّ انّ الفرنج كانوا ينقلون التلّ الى البلد بالتدريج ويستترون به ويقرّبونه الى البلد فلمّا صار من البلد بحيث يصل من عنده حجر منجنيق ونصبوا ورآءه منجنيقَيْن وصار التلّ سترة لها وكانت الميرة قد قلّت بعكّا فارسل صلاح الدين الى الاسكندريّة يامرهم بانفاذ الاقوات واللحوم وغير ذلك فى المراكب الى عكّا فتاخّر انفاذها فسيّر الى نايبه بمدينة بيروت فى ذلك فسيّر بُطسة عظيمة مملوّة من كلّ ما يريدونه وامر مَن بها فلبسوا ملبس الفرنج وتشبّهوا بهم ورفعوا عليها الصلبان فلمّا وصلوا الى عكّا لم يشكّ الفرنج انّها لهم فلم يتعرّضوا لها فلمّا حاذت مينا عكّا ادخلها مَن بها ففرح بها المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم وتبلّغوا بما فيها الى ان اتتهم الميرة من الاسكندريّة وخرجت ملكة من الفرنج من داخل البحر فى نحو الف مقاتل فأُخذت بنواحى الاسكندريّة وأُخذ مَن معها ثمّ انّ الفرنج وصلهم كتاب من بابا وهو كبيرهم الذى يصدرون عن امره وقوله عندهم كقول النبيّين لا يُخالَف ولحرمه عندهم من حرمه والمقرّب من قربه وهو صاحب روميّة الكبرى يامرهم بملازمة ما هم بصدده ويُعلمهم انّه قد ارسل الى جميع الفرنج يامرهم بالمسير الى نجدتهم برًّا وبحرًا ويعلمهم بوصول الامداد اليهم فازدادوا قوّة وطمعًا ☆

ذكر خروج الفرنج من خنادقهم

لمّا تتابعت الامداد الى الفرنج وجنّد لهم الكندهرى جمعًا كثيرًا بالاموال التى وصلت معه عزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا على عكّا مَن يحصرها ويقاتل اهلها وخرجوا حادى عشر شوّال فى عدد كالرمل كثرةً وكالنار جمرةً ، فلمّا راى صلاح الدين ذلك نقل اثقال المسلمين الى قيمون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكّا وكان قد عاد اليه مَن فرّق من عساكره لمّا هلك ملك الالمان ولقى الفرنج على تعبية حسنة وكان اولاده الافضل علىّ والظاهر غازى والظافر ممّا يلى القلب واخوه العادل ابو بكر فى الميمنة ومعه عساكر مصر ومَن انضمّ اليه وكان فى الميسرة عماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماة ومعزّ

الدين سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من امرآيه واتّفق انّ صلاح الدين اخذه مغس كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تلّ مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقيّ نهر هناك حتّى وصلوا الى راس النهر فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالشيّة وامطروا عليهم من السهام ما كاد يستر الشمس فلمّا راوا ذلك تحوّلوا الى غربيّ النهر ولزمهم الجالشيّة يقاتلونهم والفرنج قد تجمّعوا ولزم بعضهم بعضًا وكان غرض الجالشيّة ان تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا مكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلمّا كان الغد عادوا نحو عكّا ليعتصموا بخندقهم والجالشيّة في اكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلّما قُتل من الفرنج قتيل اخذوه معهم ليُلّا يعلم المسلمون ما اصابهم فلو لا ذلك الامر الذى حدث بصلاح الدين لكانت في الفصل وانّما لله امرٌ هو بالغه ، فلمّا بلغ الفرنج خندقهم ولم يكن لهم بعدها ظهور منه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقًا كثيرًا ، وفى الثالث والعشرين من شوّال ايضًا كمن جماعة من المسلمين وتعرّض للفرنج جماعة اخرى فخرج اليهم اربع مايّة فارس فقاتلهم المسلمون شيأً من قتال وتطاردوا لهم وتبعهم الفرنج حتّى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم احد واشتدّ الغلآء على الفرنج حتّى بلغت الغرارة الحنطة اكثر من مايّة دينار صوريّ فصبروا على هذا وكان المسلمون يحملون اليهم الطعام من البلدان منهم الامير اسامة مستحفظ بيروت كان يحمل الطعام وغيره ومنهم سيف الدين علىّ بن احمد المعروف بالمشطوب كان يحمل من صيدا ايضًا اليهم وكذلك من عسقلان وغيرها ولو لا ذلك لهلكوا جوعًا خصوصًا في الشتآء عند انقطاع مراكبهم عنهم لهيج البحر ۞

ذكر تسيير البدل الى عكّا والتفريط فيه حتّى أُخذت

لمّا هجم الشتآء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التى عندهم لانّها لم تمكّن من الميناء فسيّروها الى بلادهم صور والجزاير فانفتح الطريق الى عكّا في البحر فارسل اهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر

والملالة والسامة وكان بها الامير حسام الدين ابو الهيجآ لسمين مقدّمًا على جندها فامر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج مَن فيها وامر اخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى وكلّما جآءه جماعة من العسكر سيّرهم اليها واخرج عُوضهم فدخل اليها عشرون اميرًا وكان بها ستّون اميرًا فكان الذين دخلوا قليلًا بالنسبة الى الذين خرجوا واهمل نُوّاب صلاح الدين تجنيد الرجال وانفاذهم وكان على خزانة ماله قوم من النصارى وكانوا اذا جآءهم جماعة قد جُنّدوا تعنّتوهم بانواع شتّى تارة باقامة معرفة وتارة بغير ذلك فتفرّق بهذا السبب خلق كثير وانضاف الى ذلك توانى صلاح الدين ووثوقه بنوّابه واهمال النوّاب فانحسر الشتآء والامر كذلك وعادت مراكب الفرنج الى عكّا وانقطع الطريق الّا من سابح يأتى بكتاب وكان من جملة الامرآء الذين دخلوا الى عكّا سيف الدين علىّ بن احمد المشطوب وعزّ الدين ارسل مقدّم الاسديّة بعد جاولى وغيرهم وكان دخولهم عكّا اوّل سنة سبع وثمانين وكان قد اشار جماعة على صلاح الدين بان يرسل الى مَن بعكّا النفقات الواسعة والذخاير والاقوات الكثيرة ويامرهم بالمقام فانّهم قد جرّبوا وتدرّبوا واطمانّت نفوسهم على ما هم فيه فلم يفعل وظنّ فيهم الضجر والملل وانّ ذلك يحملهم على الضجر والغشل فكان الامر بالضدّ ۞

ذكر وفاة زين الدين يوسف صاحب اربل ومسير اخيه مظفّر الدين اليها

كان زين الدين يوسف ابن زين الدين علىّ صاحب اربل قد حضر عند صلاح الدين بعساكره فمرض ومات ثامن عشر شهر رمضان وذكر العماد الكاتب فى كتابه البرق الشامىّ قال جينا الى مظفّر الدين نعزّيه باخيه وظننّا به الحزن وليس له اخ غيره ولا ولد يشغله عنه فاذ هو فى شغل شاغل عن العزآء مهتمّ بالاحتياط على ما خلفه وهو جالس فى خيام اخيه المتوفّى وقد قبض على جماعة من امرآيه واعتقلهم [وعجل عليهم][1] وما اغفلهم منهم بُلداجى[2] صاحب قلعة خفتيذكان[3] وارسل

1) C. P. et 740.
2) C. P. 740: بلد اخى Ups.: بلد اخو
3) C. P. et 740. Ups.: ختيبه كان

الى صلاح الدين يطلب منه اربل لينزل عن حرّان والرها فاقطعه اياها واضاف اليها شهرزور واعمالها ودربند قرابلى[1] وبنى قفجاق ولمّا مات زين الدين كاتب مَن كان باربل مجاهدَ الدين قايماز لهوائم فيه وحسن سيرته كانت فيهم وطلبوه اليهم ليملّكوه فلم يجسر هو ولا صاحبه عزّ الدين اتابك مسعود بن مودود على ذلك خوفًا من صلاح الدين وكان اعظم الاسباب فى تركها انّ عزّ الدين كان قد قبض على مجاهد الدين فتمكّن زين الدين من اربل ثمّ انّ عزّ الدين اخرج مجاهد الدين من القبض وولّاه نيابته وقد ذكرنا ذلك اجمع فلمّا ولّاه النيابة عنه لم يمكّنه وجعل معه انسانًا كان من بعض غلمان مجاهد الدين فكان يشاركه فى الحكم ويحلّ عليه ما يعقده فلحق مجاهد الدين من ذلك غيظ شديد فلمّا طُلب الى اربل قال لمن يثق اليه لا افعل ليّلا يحكم فيها فلان ويكفّ يدىّ عنها فجآء مظفّر الدين اليها وملكها وبقى غصّة فى حلق البيت الاتابكىّ لا يقدرون على اساغتها وسنذكر ما اعتمده معهم مرّة بعد اخرى ان شآء الله تعالى ☆

ذكر مُلك الفرنج مدينة شلب وعودها الى المسلمين

فى هذه السنة ملك ابن الرنك وهو من ملوك الفرنج غرب بلاد الاندلس مدينة شلب وهى من كبار مدن المسلمين بالاندلس واستولى عليها فوصل الخبر بذلك الى الامير ابى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب الغرب والاندلس فتجهّز فى العساكر الكثيرة وسار الى الاندلس وعبر المجاز وسيّر طايفة كثيرة من عسكره فى البحر ونازلها وحصرها وقاتل مَن بها قتالًا شديدًا حتّى ذلّوا وسالوا الامان فامّنهم وسلّموا البلد وعادوا الى بلادهم وسيّر جيشًا من المؤحّدين ومعهم جمع كثير من العرب ففتحوا اربع مدن كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك باربعين سنة وفتكوا فى الفرنج فخافهم ملك طليطلة من الفرنج وارسل يطلب الصلح فصالحه خمس سنين وعاد ابو يوسف الى مرّاكش وامتنع من هذه الهدنة طايفة من الفرنج لم يرضوها ولا امكنهم اظهار الخلاف فبقوا متوقّفين حتّى دخلت

---

[1]) قرابلى

سنة احدى وتسعين وخمسمائة فتحركوا وسنذكر خبرهم هناك ان شاء الله تعالى ☆

ذكر الحرب بين غياث الدين وسلطان شاه بخراسان

كان سلطان شاه اخو خوارزم شاه قد تعرّض الى بلاد غياث الدين ومعزّ الدين ملكَي الغوريّة من خراسان فتجهّز غياث الدين وخرج من فيروزكوه الى خراسان سنة خمس وثمانين وخمسمائة فبقي يتردّد بين بلاد الطالقان وبَنْجده[2] ومرو وغيرها يريد حرب سلطان شاه فلم يزل كذلك الى ان دخلت سنة ستّ وثمانين جمع سلطان شاه عساكره وقصد غياث الدين فتصافّا واقتتلا فانهزم سلطان شاه واخذ غياث الدين بعض بلاده وعاد الى غزنة ☆

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة في ربيع الاوّل تسلّم الخليفة الناصر لدين الله حديثة عانة وكان سيّر اليها جيشًا حصروها سنة خمس وثمانين فقاتلوا عليها قتالًا شديدًا ودام الحصار وقُتل من الفريقَيْن خلق كثير فلمّا ضاقت عليهم الاقوات سلّموها على اقطاع عيّنوها ووصل صاحبها واهلها الى بغداد واعطوا اقطاعًا ثمّ تفرّقوا في البلاد واشتدّت الحاجة بهم حتّى رايتُ بعضهم وانّه يتعرّض بالسؤال الى بعض خدم الناس فعوذ بالله من زوال نعمته وتحوّل عافيته ، وفي هذه السنة توفّي مسعود بن البادر وكان مكثرًا من الحديث حسن الخطّ خيّرًا ثقةً ، وفيها توفّي ابو حامد محمّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري بالموصل كان قاضيًا وقبلها ولي قضاء حلب وجميع الاعمال وكان رئيسًا جوادًا ذا مروّة عظيمة يرجع الى دين واخلاق ☆

سنة ٥٨٧ ثمّ دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة ،

ذكر حصر عزّ الدين صاحب الموصل لجزيرة

في هذه السنة في ربيع الاوّل سار اتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل الى جزيرة ابن عمر فحصرها وكان بها صاحبها

---

[1]) C. P.: شهاب

[2]) C. P. 740: بنجده Up.s: بجده

سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود وهو ابن اخى عزّ الدين وكان سبب حصره انّ سنجر شاه كان كثير الاذى لعمّه عزّ الدين والشناعة عليه والمراسلة الى صلاح الدين فى حقّه تارة يقول انّه يريد قصد بلادك وتارة يقول انّه يكاتب اعدآءك ويحثّهم على قصدك الى غير ذلك من الامور المؤذية وعزّ الدين يصبر على ما يكره لامور تارة للرحم وتارة خوفًا من تسليمها الى صلاح الدين ، فلمّا كان فى السنة الماضية سار صاحبها الى صلاح الدين وهو على عكّا فى جملة مَن سار من اصحاب الاطراف واقام عنده قليلًا وطلب دستورًا للعود الى بلده فقال له صلاح الدين عندنا من اصحاب الاطراف جماعة منهم عماد الدين صاحب سنجار وغيرها وهو اكبر منك ومنهم ابن عمّك عزّ الدين وهو اصغر منك وغيرهم ومتى فتحتَ هذا الباب اقتدى بك غيرك فلم يلتفت الى قوله واصرّ على ذلك وكان عند صلاح الدين جماعة من اهل الجزيرة يستغيثون على سنجر شاه لانّه ظلمهم واخذ اموالهم واملاكهم فكان يخافه لهذا ولم يزل فى طلب الاذن فى العود الى البلد الى عيد الفطر من سنة ستّ وثمانين فركب تلك الليلة سنجر [شاه] وجآء الى خيمة صلاح الدين واذن لاصحابه فى المسير فساروا بالاثقال وبقى جريدة فلمّا وصل الى خيمة صلاح الدين ارسل يطلب الاذن وكان صلاح الدين قد بات محمومًا وقد عرق فلم يمكن ان ياذن له فبقى كذلك مترددًا على باب خيمته الى ان اذن له فلمّا دخل عليه هنّاه بالعيد واكبّ عليه يودّعه فقال له ما علمنا بصحّة عزمك على الحركة فتصبر علينا حتّى نرسل ما جرت به العادة فما يجوز ان تنصرف عنّا بعد مقامك عندنا على هذا الوجه فلم يرجع وودّعه وانصرف وكان تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين قد اقبل من بلده حماة فى عسكره فكتب اليه صلاح الدين يامره باعادة سنجر شاه طوعًا او كرهًا ، فحكى له عن تقى الدين انّه قال ما رايتُ مثل سنجر شاه لقيتُه بعقبة فيق فسالتُه عن سبب انصرافه فغالطنى فقلتُ له سمعتُ بالحال ولا يليق لك تنصرف بغير تشريف السلطان وهديته فيضيع تعبك وسالتُه العود فلم يَصْغ الى قولى فكلّمنى كانّنى بعض

Digitized by Google

[مماليكه][1] فلمّا رايتُ ذلك منه قلتُ له ان رجعتَ بالتى هى احسن والّا اعدتّك كارهًا فنزل عن دابّته واخذ ذيلى وقال قد استجرتُ بك وجعل يبكى فعجبتُ من حماقته اوّلًا وذلّته ثانيًا فعاد معى فلمّا عاد بقى عند صلاح الدين عشرة ايّام وكتب صلاح الدين الى عزّ الدين اتابك يامره بقصد الجزيرة ومحاصرتها واخذها وانّه يرسل الى طريق سنجر شاه ليقبض عليه اذا عاد فخاف عزّ الدين انّ صلاح الدين قد فعل ذلك مكيدة ليشنع عليه بنكث العهد فلم يفعل شيًا من ذلك بل ارسل اليه يقول اريد خطّك بذلك ومنشورًا منك بالجزيرة فتردّدت الرسل فى ذلك الى ان انقضت سنة ستّ وثمانين فاستقرّت القاعدة بينهما فسار عزّ الدين الى الجزيرة فحصرها اربعة اشهر وايّامًا اخرها شعبان ولم يملكها بل استقرّت القاعدة بينه وبين سنجر شاه على يد رسول صلاح الدين فانّه كان قد ارسل بعد قصدها يقول انّ صاحب سنجار وصاحب اربل وغيرهما قد شفعا فى سنجر شاه فاستقرّ الصلح على ان لعزّ الدين نصف اعمال الجزيرة ولسنجر [شاه] نصفها وتكون الجزيرة بيد سنجر شاه من جملة النصف وعاد عزّ الدين الى الموصل وكان صلاح الدين بعد ذلك يقول ما قيل لى عن احد شئ من الشرّ فرايته الّا كان دون ما يقال فيه الّا سنجر شاه فانّه كان يقال لى عنه اشياء استعظمتُها فلمّا رايتُه صغر فى عينى ما قيل ☆

ذكر عبور تقى الدين الفراة وملكه حرّان وغيرها من البلاد الجزريّة ومسيره الى خلاط وموته

فى هذه السنة فى صفر سار تقى الدين من الشام الى البلاد الجزريّة حرّان والرُّها كان قد اقطعه ايّاها عمّه صلاح الدين بعد اخذها من مظفّر الدين مضافًا الى ما كان له بالشام وقرّر معه انّه يُقطع البلاد للجند ويعود وهم معه لينتقوّى بهم على الفرنج فلمّا عبر الفراة واصلح حال البلاد سار الى ميّافارقين وكانت له فلمّا بلغها تجدّد له طمع فى غيرها من البلاد المجاورة لها فقصد مدينة حانى[2] من ديار بكر فحصرها وملكها

---

[1]) C. P. et 740. [2]) حامى